

عشرُ طُرقٍ للتَّنكيل بجُثَّة

الكتاب: **عشرُ طُرقٍ للتَّنكيل بجُثَّة**
المؤلف: عماد فؤاد
شعر

الناشر:
جدار للثقافة والنشر | مالمو، الإسكندرية
info@jidar.net | www.jidar.net
الطبعة الثانية
الطبعة الأولى: دار الآداب، بيروت (2010)

الترقيم الدولي: **978-1-326-23072-2**
التصميم الداخلي والغلاف: جدار للحلول المستدامة

Ten Ways to Mutilate a Corpse
Author: Emad Fouad
Poetry
Publisher: Jidar for Culture & Publishing
Interior and Cover Design: Jidar for Sustainable Solutions.

ISBN**: 978-1-326-23072-2**

عماد فؤاد

عشرُ طُرقٍ للتَّنكيل بجُثَّة

شِعر

المحتوى

إلى «آدم».. و«إيليا»..
قلبي الذي رأيته مشطورًا
يحبو على التُّرابِ
في صورتينِ.
إلى امرأة ميّتة
كنت أحبّها ذات يوم.
إلى جسدي مرميًا
في حِجْر أمِّي..
هذه بضاعتكِ
رُدَّتْ إليكِ.

﴿وأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّيْ﴾

قرآن كريم، صورة «طه»، الآية (39)

باب أوّل

الجنازات العشر للفقيدة «محبَّة»

....

ورأيتُ صِباي يعضُّ طفولتي

ويجري ليختبئ كطفلٍ

بين قَدَمَيَّ

(1974 – 2000)

صقر

في دائرةٍ كاملةٍ
تصغرُ رويدًا رويدا
يحلِّقُ هذا الصَّقرُ عاليًا
ثمَّ يهبطُ
منقضًّا على الوردةِ الوحيدةِ
التي تتمايلُ يمينًا ويسارا
والصَّقرُ
لا يتراجعُ
يأخُذها مثلَ فريسةٍ
ويخلِّفُ القبرَ الوحيدَ
وحيدا.

ثمرةُ كرز

نازلًا على درجٍ من الهايكو
صاعدًا إلى امرأةٍ في جَمالِك
أشدُّ الليلَ من ذيلِ ثوبِه الطَّويلِ
وأحدفُ القمرَ بثمرةِ كرزٍ
فيحمرُّ خدّاهُ.

رعشة

أمتعُ من صيدِ السَّمكةِ
رعشتُها وهْي تخرجُ من المياهِ
لتلمعَ تحتَ شمسِ النَّهارِ
الرّعشةُ التي كنتُ أقبضُ بقوَّةٍ على غابِ صنَّارتِي
كي تصِلَنِي كاملةً
غيرَ منقوصةٍ
ولا أفقدُ منها شيءْ
الرّعشةُ التي علَّمتني معنى أن أكونَ قنّاصًا
ومعنى أن أكونَ مُرغمًا على القنصِ
الرّعشةُ التي عشت عمري أطاردُها
مذ كنتُ صبيًّا صغيرًا
أذهبُ كلَّ ظهيرةٍ مع خالي إلى ضفَّةِ النَّهرِ
كي نجلبَ غداءَ عائلةٍ كاملةٍ
من الجوعى.

شظية خشب

ابنُ عامين...
وأسقطُ من فتحةِ السَّطحِ فوقَ قُنِّ إوزَّاتِ جَدَّتي
وأقومُ سليمًا دون خدشٍ
غبيٌّ وغشيمٌ...
وأضعُ كفِّي كاملةً
في مقلاةِ الزَّيتِ
التي تتراقصُ فوقَها دوائرُ الفلافلِ
تتورَّم يدي وتنتفخُ بمياهِ الزُّرقةِ
ولا أكرهُ الفلافلَ أبدًا...
أسقطُ من فوقِ تكعيبةِ العِنبِ
أمامَ دارِ جَدِّي على حجرِ الرَّحى
ولا أبكي وجعي
لكنَّني أبكي عنقودَ العِنبِ الذي هرستْهُ يدي
وهْي تتَّقي سقوطي
صغيرٌ...
ألعبُ بالحصى والتُّرابِ وديدانِ الأرضِ، أسرقُ زهورَ البرسيمِ كي أجفِّفَها في كتبي المدرسيَّةِ وأذروها في الرِّيحِ، أخلعُ أسنانيَ اللَّبنيَّةَ خِفْيةً عن يدِ أبي الثَّقيلةِ، وأرمي بها إلى الشَّمسِ طامعًا في أسنانٍ جديدةٍ أقوى وأجملَ
أسرقُ بذورَ غيطِ خالي وأغرسُها في ماءِ النَّبعِ، كي تنموَ أشجارًا شفافةً

هكذا من أثرِ المياه
وأحلمُ بظلٍّ أرى منه ما يختبئُ في الشَّمس
نمتُ من التَّعبِ تحتَ أسرَّةِ أبناءِ جيرانِنا
وأنا أختبئُ من أخوتي كي لا أنام
حبســـتني الحياةُ في غرفٍ مفاتيحُها معلَّقةٌ في رقبةِ أمِّي كي تخرجَ إلى السُّوقِ
وتجلبَ مؤنَ الأسبوعِ..
كانت الحياةُ كريمةً مع روحي
روحي التي أتأمَّلُها الآن
وأنا جالسٌ على حجرٍ في الظِّلِّ
أنظرُ إلى قلبي مشطورًا
يعدو على التُّرابِ في صورتينِ
إيه..!
طفولتي
شظيةُ الخشبِ التي اخترقت لحمي
تحتَ الظِّفرِ تمامًا
كلَّما حاولتُ نبْشها
بإبرةِ الذَّاكرة
أهلكني الألمُ.

عقاب الفراشة

اختبئْ أيّها الصبيُّ، خبِّئْ بقعَ التُّوتِ على ثوبكِ الأبيضِ. أمُّكَ وخالاتُكَ يبحثْنَ عنكَ، وإن رأينكَ هكذا، لن يغفرنَ لكَ رعونتَكَ، ستتركُ أصابعُهنَّ الخشنةُ على خدَّيكَ وأذنيكَ علاماتٍ حمراءَ تزرقُّ في الليل. سيحرمْنكَ صيدَ الفراشاتِ البيضاءِ من فوقِ زهورِ البرسيمِ الطَّالعِ في غيطِ خالِكَ، خبِّئ جسمك النَّحيلَ خلفَ جذعِ التُّوتةِ، ضُمَّ فخذيكَ على خوفِكَ، واكتمْ أنفاسَكَ وأنت تسمعُ أقدامَهنَّ تغوصُ ثقيلةً في الأرضِ المرويَّةِ، أقدامَهنَّ المشقَّقةِ التي تدوسُ سنابلَ القمحِ فتنفرطُ حبَّاتُها صفراءَ لامعةً، غُصْ عميقًا في صمتِكَ، ولا تقرب بيدِكَ الطِّفلةِ أوَّلَ فراشةٍ ملوَّنةٍ تحومُ حولَ عينيكَ..

يا يدَه الصَّغيرة
يا يمنى...
يا ذاتَ الأصابعِ الخمسِ
بارزةَ العروقِ
حتَّى لتكادُ تشفُّ عن سريانِ الدَّمِ فيها
يا فضَّاحةُ
يمدُّكِ ليمسِكَ أوَّلَ فراشةٍ ملوَّنةٍ تراها عيناه
فتمسكُه يدُ أمّه
لم يبكِ
ولم يدفعْ عن صباه عار الجريمةِ
رفع ذراعين ضعيفتين كي يتَّقى الضَّربات
وظلَّ يرمق الفراشةَ الملوَّنةَ ترفُّ أمام عينيه
متخيِّلًا أيّ عقاب ستناله من أمِّها
حين تعود إلى البيت هكذا
بجناحين ملوَّثين
من أثر ثمار التُّوت!

تكعيبة عنب

يا لشقاءِ «عبد المنعم قطب حميده»
جَدِّي الذي كنتُ أخبِّئُ عن عينيهِ مطرقتَه الحديديّةَ وأســيرُ بها وأنا أمســكُها بيدي محاذيةً لســاقي، كي لا يراها وهْو راقدٌ ويعرفَ أنَّني عبَّأتُ جيوبي بكومةٍ من المساميرِ كي أدقَّها خفيةً في شجرةِ العنبِ.
عرفتُه مضــطجعًا في بهو الدَّار فوق حصــيرةِ القشِّ، أو متّكئًا على حائطٍ ليقضي حاجَتَه، آمرًا امرأتَه الضَّامرةَ القصيرةَ أو ناهيًا.
جـدِّي الـذي رأيتُـه مرَّاتٍ كثيرةً يُصــلح بين رجـالات العـائلـة؛ يوبِّخُ المتجبِّرين ويصفعُ النِّساءَ ويردُّ المظالم
كحّتُه الحارسةُ المتأهِّبةُ الحاضرةُ دومًا
كانت تجعلُ لنومتي جوارَه طعمًا آمنًا حلوًا
ماتَ قبل أن أُريه أثرَ المساميرِ في شجرةِ العنبِ التي زرعَها قبل ثلاثين عامًا.
مؤكَّد كان يراها ويصمت،
يبصقُ مع سعاله شتيمته:
«الله يلعنك يا ابن فؤاد
ها تخرب الشجرة».
يا ربُّ
لماذا تحفُّ بي رائحتُه ونحنحاتُه
كلَّما اشتريتُ عنقودَ عنبٍ
نبتَ في هذا البردِ؟

استفهام

تموتُ الأشجارُ
فنقطعُها
ونصنعُ منها آرائِكَ ومناضدَ ومقاعدَ وعُصيّا
تموتُ الكلابُ
فنلقي بها في الأنهارِ كي نلوّثَ مياهَ الفقراءِ
تموتُ القصائدُ
فنرصُّها في كتبٍ ونبيعُها للنَّاسْ
تموتُ العصافيرُ
فتتغذَّى الدِّيدانُ على جثثِها قبل أن يحلِّلها التُّرابُ
تموتُ الفراشاتُ
فتهرسُها الأقدامُ العابرةُ
تموتُ الزُّهورُ
فنجفِّفُها ونحتفظُ بها كذكرى
تموتُ الذِّكرى
فننساها
نموتُ
فيوارونَنا التُّرابَ ويقولونَ دفنَّاكم
تموتُ المحبَّةُ فينا
فنحارُ
أين ندفنُها؟

....

ورأيتُ يديْ اليمنى

مَنْسيَّةً

فوقَ رُخامةِ القبرِ

(2001 - 1974)

ها هنا رجل

ها هنا رجلٌ
يحملُ جاروفًا ويحفرُ الأرضَ، فيُخرجُ الجذورَ والعظامَ والمفاصلَ المهترئةَ والخطواتِ ودودَ الأرضِ، يحفرُ فيصطدمُ سكّينُ جاروفِه بقطعِ حجارةٍ مسنَّنةٍ وورق شجرٍ مُعطَّنٍ وأغصانٍ ناشفةٍ وشظايا زجاجٍ وأغطيةِ معلَّباتٍ وأعقابِ سجائرَ، يعرقُ فتسقطُ قطراتُ عرقه فوق ساعديه فلا يشعرُ ولا ينتبهُ، لكنَّه يضربُ بسكِّينِ جاروفِه حتى يكملَ مستطيلًا يكفي لإدخالِ الجسدِ المُسَجَّى خلفَه، ملفوفًا في ملاءاتٍ بيضاءَ، وحين يلتفتُ لا يعثُرُ على الجسد ولا على الملاءاتِ ولا على المستطيلِ ولا على الأغصانِ ولا على قدميه..
الرَّجل الذي كان ها هنا..
صارَ تحت عينَي الصَّقر الذي يحوِّمُ الآن بجناحيه في الأعالي
مستطيلًا محفورًا في الأرض
ينظرُ الصَّقر فيقول في نفسه :
هذا قبر حيّ يسيرُ على قدمين
وما من شاهدٍ واحد
يدلُّ العابرينَ الطَّارئين
إليه.

في العودة إلى الأصل

كلُّ شيءٍ ينسحبُ إلى أصلهِ،
عائدًا من شيخوخةٍ مفاجئةٍ..
كلُّ شيءٍ
يرجعُ إلى الخلفِ...
تصوَّروا معي
مطرًا يتَّجهُ إلى السَّماءِ في زخَّاتٍ ثقيلةٍ تدفعُها الأرضُ إلى أعلى
كفَّ أمِّي المغضَّنةَ بالأخاديدِ ترجعُ، رويدًا رويدًا، ناعمةً، بضَّةً، دافئةً، وخفيفةً، وهْيَ تلمُّ شعرَها الذي يزدادُ ثِقلًا ولمعانًا..
النَّبتةَ في الظِّلِّ
تصغرُ وتنكمشُ على نفسِها ململمةً أوراقَها العريضةَ لتُدْخِلَها في السَّاقِ التي ترقُّ ببطءٍ حتى تبتلعها الأرضُ التُّرابيةُ..
صوتيَ المحفوفَ برائحةِ الدُّخانِ..
رئتيَّ المسوَّدتينِ ببقعِ القطرانِ التي خلَّفتْها أنواعٌ عديدةٌ من التَّبغِ
التَّجاعيدَ الغائرةَ أسفلَ عينيَّ الضَّيقتينِ
كلُّها تختفي وتذوبُ كما لو أنَّ موجةً صغيرةً طالتِ الرَّملَ الذي دهسته أقدامٌ لاهيةٌ، فأعادتهُ من جديدٍ مستويًا ورائقًا
كأنْ لا قدمَ مسَّته
ولا بعثرَ عَدْوٌ حبّاتِه..
كلُّ شيءٍ ينسحبُ إلى أصلِه...
كلُّ شيءٍ
يرجعُ إلى الخلفِ..

رسمة شفتيكِ

هييه!

وما المشكلةُ في أن أظَلَّ مسحورًا هكذا برسمةِ شفتيكِ، وما المشكلةُ في أن أطفئ سيجارتي تحت حذائي كلَّما رأيتُكِ تهلّين من بعيدٍ بمشيتِكِ الوئيدةِ، تسبقُكِ رائحةُ الخزامي والورد البلديّ، وحين أرفعُ أصابِعَكِ النَّحيلةَ بين يديَّ كي أقبّلَها خلسةً، تملأُني رائحةُ كافورٍ كنتُ أختبئُ فيها صغيرًا من صوتِ جدّي الرَّاقدِ في بهوِ الدَّارِ الواسعةِ، يكحُّ فتتصادمُ الأقدامُ في عدوِها من أمامِه، أنا ابنُ هذه الأصابعِ النَّحيلةِ المعبّأةِ بشذا الكافورِ الطَّويلِ، لستُ ابنَ أمّي كما سمَّاني أبي، ولا ابنَ بطنِها كما سمَّتني التي تغتسلُ الآن وضوءًا للفجرِ، وهْيَ تُزيحُ منديلَ رأسِها، وتغسلُ البياضَ الذي كبرتُ على سوادِه

أنا ابنُ هذه الأصابعِ

الرَّاكضُ من دمي الآن وهْو يلمعُ في شفتِكِ السُّفلى، تمسحين تعبَه بطرف لسانِكِ وتبلِّلينَ احمرارَه بريقكِ الذي يرجفُ روحي

لا تشدِّي أصابعَكِ الصَّغيرةَ من يديَّ

ولا تجفلي كلَّما قلتُ إنَّني مسحورٌ برسمةِ شفتيكِ

سأعِدُكِ

ألّا أطفئَ سيجارتي القادمةَ تحت حذائي

سأنساها بين أصابعي

حتى تنبِّهني لسعتُها الحارقةُ على بشرتي التي أزرقَّتْ من البردِ

حين فقدتْ

أصابعَكِ النَّحيلةَ.

لأنَّه اسمي

لأنَّه اسمي

ودمي الذي ينبحُ كلَّما لمعَ النَّصلُ الذي أراقَه

لأنَّه ابني الذي خلَّفتُه يلعبُ في الحصى، ومشيتُ بأثرِ أناملِه الخمسِ الصَّغيرةِ تشدُّ بنطالي

لأنَّه أمِّي البعيدةُ، لأنه ندهتُها وزفرتُها وماءٌ يقطرُ من وضوئِها في الفجرِ، لأنَّه إخوتي الثَّلاثةُ وشقيقتاي الضَّعيفتان، لأنَّه أنَّتي وجرحيَ المفتوحُ ولكنتي الأجنبيّةُ في أذنِ أصدقائي، لأنَّه وجعي ورائحتي، ومِلحي الذي يجفُّ على صدغيَّ من شدةِ التَّعبِ، لأنَّه لعبتي الخشبيّةُ التي هشَّمتُها صغيرًا خلف بستانِ جارتِنا، لأنَّه أبي الذي يبتعدُ بعينينِ تدمعان مخلِّفًا رائحةَ التَّبغِ وصفرتَها بين أناملي المرتجفةِ

لأنَّه أنا، أحدفُه بعيدًا...

غير نادمٍ ولا عاتبٍ ولا لائمٍ

ولا حانقٍ على أحد

وأعرفُ أنَّه

عائدٌ - لا محالة -

إليّ.

مَذلَّة

وُلدت الآنسةُ «محبَّةْ «
من قُبلةٍ بين عاشقينِ
وُلدتْ تحديدًا من امتزاجِ ريقيهما في أوَّلِ قبلةٍ سرقاها في ممرٍّ صباحيٍّ لفندقٍ ما، أو في عتمةِ قاعةِ سينما، أو تحتَ شجرةٍ عاريةٍ من فعلِ خريفٍ غامضٍ وبعيد
وُلدت الآنسةُ «محبَّةُ» هكذا، دون مساعدةٍ من أمٍّ أو توجيهٍ من أبٍ، وكبرتْ مثلَ نبتةٍ، لا العاشقُ استطاع أن يحجِّمَ من قامتِها التي تنمو يومًا بعدَ يوم، ولا تمكَّنتِ العاشقةُ من صدِّ رعونتِها، لذا فإنَّ الآنسةَ «محبَّةَ»، - وبفُجرِ مومسٍ محترفةٍ -، قادرةٍ على أن تدَّعيَ الآن - وأمامَنا جميعًا -، أنَّها صنعتْ نفسَها بنفسِها، وما علينا إلا أن نهزَّ رؤوسَنا في مذلَّةٍ
ونحنُ ننظرُ بعمقٍ
في عينيها الواسعتين.

....

ورأيتُ ساقيّ

تعدوان منّي خلف عابرٍ ظمئ

فتتخطّاه وتستمرّ في العدو

(1974 - 2002)

كلَّ يوم

ثلاثةٌ يعبرونَ الشَّارعَ ذاتَه كلَّ يومٍ؛
-رجلٌ تهتزُّ رجولتَه مع كلِّ رفَّةِ فستانٍ عابرٍ
وهْو يقولُ في نفسِه :
ما نفعُ الانتقاءِ
ما دامت كلُّ النَّحلاتِ صانعةٌ للعسل؟
- عاشقٌ يخرجُ مغْمِضًا عينيه عن مساوئ الجميلةِ
وهْو يقولُ في نفسِه :
ما نفعُ السُّؤالِ
ما دام قلبي عامرًا بالمحبَّةِ؟
- حطَّابٌ
يخرجُ كلَّ صباحٍ وفأسُه على كتفِه
وهْو يقولُ في نفسِه :
- ما نفعُ شجرةٍ لا تثمرُ ولا تزهرُ
ولا تخلِّفُ في الهجيرِ لعابرٍ ظلًّا؟!

دمّ

طلبوه كي يخلِّصَهم من الحشرجةِ التي تندلقُ من صدرِها كلَّما لمسوها في الغُسْلِ، قالوا له إنَّ كفَّيها مضمومتان بشدَّةٍ على الفراغِ، وإنَّ أسنانَها تصرُّ عند كلِّ دفقةِ ماءٍ دافئةٍ على نحرِها العاري، قالوا له كنْ هادئًا كي لا تجعلها تجزعُ من لمستِكَ حين تمدّ أصابعَكَ الباردةَ إليها، أسندوا كتفيه الثَّقيلتَيْنِ ودفعوه برفقٍ. تخاذلتِ الأعينُ وهم يسمعون تنفُّسَه يعلو رويدًا رويدًا، تماسكتْ أكفُّهم أكثرَ فأكثر وهم يحاولون دفعَه إلى الأمام، حين اقتربَ بما يكفي كي يرى جفنَيها المزرقَّين وجبينَها المنبسطَ، عرف أنَّهم كذبوا عليه، كانوا يريدون فقط أن يجعلوه يرى بعينيه دفقةَ الدَّمِ القاني التي بدأت تصنعُ لنفسِها مجرًى دقيقًا بين العنقِ الأسمرِ وشقوقِ سطحِ طاولةِ الغُسل البُنِّيّةِ

لم يشعرْ بيده اليمنى وهْي تمتدُّ ببرودةِ سكِّينٍ وتمسكُ بكوبِ الغُسلِ الفارغِ، ملأه ماءً دافئًا، وسكبَه فوقَ البقعةِ القانيةِ، وظلَّ يتأمَّلها حتى تماهتْ حمرتُها في شفافيةِ المياهِ، قبل أن يلتفتَ ناحيةَ البابِ وينصرف.

الأسود المشؤوم

لنا أن نبجِّلَه؛
هذا الأسودَ المشؤومَ
سيِّئَ الحظِّ
النَّاعقَ خلفَ كلِّ مبتسمٍ
لنا أن ندركَ قيمتَه الحقيقيَّةَ وفضلَه علينا
فهو من علَّمَنا
كيف نتخلَّصُ من الجثثِ التي نفاجأُ بها
وهْي تختنقُ بحشرجتِها الأخيرةِ بين أصابِعنا
لنا أن نجرِّبَ كيف نُغيِّرُ من أنفسِنا ونحبُّه
أن نقدِّرَه ونعطيَه حقَّه
وأن نستبشرَ خيرًا لو رأيناهُ في الصَّباحِ
يبتسمُ خلفنا ونحن نخرجُ من بيوتِنا إلى أشغالِنا
وهْو يشيِّعُنا في رواحِنا اليوميِّ
ونحنُ نُمسكُ بكفوفِ صغارِنا
إلى مدارسِهم وحضاناتِهم..
لنا أن نبجِّلَه
نهابُه
ونحترمُه
ونعامُله بالحُسنى
هذا الغرابَ الذي ينعقُ منتصرًا
وهْو يحفرُ في البعيدِ
قبرًا لأخيه.

مهابة

للموتِ جلالُه يا «محبَّةُ «
مثلُه مثلُ الولادةِ والبكاءِ وطاعنِ الكلام
فكيفَ تموتينَ هكذا في غفلةٍ منَّا؟
كما لو كنتِ شحّاذةً التقطناها من الشَّوارعِ
أو عابرةً طرقتْ بابَنا بالمصادفةِ.
للموتِ صورتُه الأخيرةُ يا «محبَّة»؛
كان عليكِ ألّا تموتي هكذا
محنيَّةَ الرَّأسِ، منكَّسةَ العينينِ
وظهرُكِ يرسمُ قوسًا مفتوحًا
ناحيةَ الأرضِ
كان عليكِ أن تموتي أمامَنا
كي نشدَّ من ظهرِكِ
وننصبَ عُودَكِ في اللحظاتِ الأخيرةِ
كي نستعيدَكِ دائمًا
وأنتِ مزهوَّةٌ بفتوّتِكِ
حتى ولو كانَ الموتُ ذاتُه
هو من ينخرُ عظامَكِ
فللموتِ
مهابتُه الجميلةُ
يا «محبَّة».

مرَّة واحدة ليست بكافية

كفِّنوها عشرَ مرَّاتٍ
مرَّةٌ واحدةٌ ليست بكافيةٍ
مرّتان...
ثلاثٌ...
أربعٌ...
خمسٌ أو سبعٌ ليست بكافيةٍ
تكفيها عشرُ مرَّاتٍ
كي تختبئَ جيِّدًا من شمسِ الظَّهيرةِ

ومن عيونِ الذين يمرُّونَ تحتَ النَّعشِ
وهم يحدِّقون
في خَطْوهم الهشِّ
فوق ترابِ المقابرِ
كفِّنوا هذه الرُّوحَ جيِّدًا
لفُّوها من رأسِها إلى أصابعِ قدميها
بكتَّانٍ مصريّ
اضربوا ظهرَ كفِّها الصَّغيرةِ
لو همَّتْ بالتَّملُّصِ منكم
ضعوا إصبعَ السَّبابةِ من يُمناكم
متقاطعًا أمام شفاهِكم
كي تصمتَ عن الكلامِ
قولوا لها أن تُخْفِضَ من صوتِها
وهْيَ في حضرةِ هذا الجسدِ المُسجَّى
الذي جرجرتْه خلفَها
عمرًا بأكملِه
قولوا لها أن تتأدَّبَ
وأن تطأطئَ الرَّأسَ
أمامَ هاتين السَّاقين
اللتين سحلتْهُما في مشاويرَ ملفَّقةٍ
وألا ترفعَ عينيها في عينيه
علِّموها أن تبجِّلَ هاتين العينين
اللتين أذبلَهما السَّهرُ والأرقُ والبكاءُ والكتابةُ

وأن تقبِّلَ هذه اليدَ التي كتبتْ ما أملتهُ عليها
دونَ مجادلةٍ
قولوا لها إنَّها أفسدته بما فيه الكفايةُ
حتى صارَ عَطِنًا
كثمرةٍ معطوبةٍ
أروها: معدتَه التي ربَّتْها على جوعٍ
قلبَه الذي روَّضتْه كلبوةٍ
وجعلت منه حجرًا
لا ينحني أمام ندهةِ أمٍّ،
ولا يلينُ أمام نظرةٍ
من عينِ أبٍ
شدُّوا أذنيها كطفلةٍ شقيَّةٍ
وأنتم تغسِّلون شعرَها الطَّويلَ
اجعلوها ترى الكدماتِ الزُّرقَ التي خلَّفتها رعونَتُها
فوق قلبِه الباردِ
جرُّوها من شعرِها وأوقفوها منكَّسةَ الرَّأسِ
وأنتم تعدِّدونَ على أذنيها أسماءَ الكدماتِ :
أرأيتِ؛
هنا كدمةُ الصَّفعةِ الأولى
هنا كدمةٌ من قرصةِ الوحدةِ
هنا كدمةٌ من عضَّةِ الذِّكرى
هنا كدمةُ الفشل في إنبات جناحين تحتَ ذراعيه

هنا كدمةُ الخروجِ من العتمةِ الدَّافئةِ وفتحِ عينين كاملتين في شمسِ
أكتوبر
هنا كدمةٌ خلَّفتْها امرأةٌ
شدَّتْ شالَها من بينِ كفّيه
وغابتْ
وهنا كدمةٌ من أثرِ أصابعِ «آدمَ» العشرِ..
قولوا لها
إنَّ مرَّةً واحدةً ليست بكافيةٍ
مرَّتين...
ثلاثًا...
أربعًا...
خمسًا أو سبعًا ليست بكافيةٍ
تكفيها عشرُ مرَّاتٍ
كي تختبئَ جيّدًا
من شمسِ الظَّهيرة.

....

ورأيتُ سطورَ قصائدي

موزَّعةً على قصائد الآخرين

دونما سببٍ

(1974 - 2003)

من شرفة عالية

تفتحُ شــبَّاكَكَ في الصَّــباحِ على صــراخِ امرأةٍ تحترقُ وهي تعدو في الشَّارعِ، والنَّارُ تتبعُها كامرأةٍ غيورٍ ضبطتْ زوجَها في أحضانِ ضِرَّتِها، والنَّاسُ في النَّوافذِ والشُّــرفاتِ يتفرَّجون، ما من أحدٍ صــرخَ وما من أحدٍ نادى وما من أحدٍ جرى إلى هاتفِه كي يستدعي سيّارةَ الإسعافِ أو يطلبَ النَّجدةَ، بقوا ينظرون وشــفاهُهم ممتعضــةٌ أو متأفِّفةٌ أو مزمومةٌ أو تهمُّ بالانفراجِ عن شبه ابتسامةٍ، ما من أحدٍ ألقى بطّانيةً صــوفيَّةً على المرأةِ الصَّــارخةِ من الألمِ، وما من رجلٍ يُلقى عليها دلوَ ماءٍ.

أنا وحدي

كنتُ أنظرُ وأراني أصبحتُ شخصين باردين ووحيدين في الشُّــرفةِ العاليةِ

واحدٌ ينظرُ

وواحدٌ يجرُّ المرأةَ المحترقةَ من شعرِها وهْو يغطّيها ببطّانيّةٍ صوفيَّةٍ ويجاهدُ كي يكتمَ ألسنةَ اللهبِ قبلَ أن تطالَه.

تفحَّمت المرأةُ تمامًا...

من شرفتي العاليةِ كنتُ أرى اللحمَ الأسودَ وأشمُّ رائحةَ الشُّواءِ التي تقلبُ المعدةَ

بعد قليل

خرجت امرأةٌ من بيتِها وهي تحملُ ملابسَها

وقالت للجميعِ

إنَّ «المحبَّةَ» التي كانت بينَها وبين رجلِها احترقت في الصَّباحِ

وما من أحدٍ حاولَ إنقاذَها.

حدوة فرس

ثمَّة في البعيدِ
من يحرِّضُني على الذِّهابِ
لكنَّ قدميَّ عالقتان في الرَّملِ
وقلبي
يتأرجحُ فوقَ بابِ أمِّي
كحدوةِ الفرسِ.

زنى محارم

أتحدَّاكِ
أن تثبتِي براءَتكِ من بلائنا يا «محبَّة «
فنحن في النِّهاية أبناءُ زنى
ملعونون بالفطرةِ
ومُدنَّسون
وإلَّا...
من أين كنَّا سنجيءُ
لو لم يقتلْ أخٌ أخاه
ويضاجعَ أختَه؟

تراب

أمُّنا البتولُ
سوداءُ الوجه
نجرحها كي ندفنَ موتانا
الذين ولدتهم وسوَّتهم من صلصالِها
ستَّةَ أقدامٍ تحت الأرض
تكفي
كي نردَّ الأمانات إلى أهلها
ونردمَ التُّرابَ
على التُّرابْ.

مسرح

الكوميديا:

رجلٌ ينامُ ليحلمَ بامرأةٍ ميّتةٍ تأتيه باكيةً لتشاجرَه وتهدِّدَه بالانتحارِ.

الكوميديا السُّوداء:

أن يخافَ الرَّجلُ من فكرةِ النَّومِ كي لا تأتيَه المرأةُ نفسُها وتهدِّده مجددًا بالانتحارِ.

المأساة:

أن تنفِّذَ المرأةُ تهديدَها وتنتحرَ فعلاً.

العبثُ:

أن يبكيها الرَّجلُ.

العروس

... واكْشفوا عن وجهها يا بناتُ
العروس عذراءُ
فلا تداروا وجهها
غطُّوا عودَها الملفوفَ بشالِها ذي الورودَ الحمرَ
وسيروا خلفَها رافعات الرُّؤوسِ
وفرحاتٍ
بعد قليلٍ
سيحملهُا عريسُها
ويُدخلُها بيتَها الجديدَ
وسيكون عليكنَّ
أن تنتظرنَ طويلاً
قدَّام بابها.

....

ورأيتُ قبري بعيدًا

تحت ظلٍّ

بلا شجرٍ

ولا زهرٍ

(1974 – 2004)

هامة الخجل

سأبدأُ الكلامَ من آخرِ نقطةٍ في السَّطرِ،
دون فواصلَ ولا نقطٍ
ولا مساحات فارغةٍ بلا معنى
لن أزيّنَ الحروفَ
ولن أشكِّلَها
ولن أهتمَ بالعينِ التي ستقرؤُها
وتعالي نتصارحْ؛
أنتِ لديكِ طفلان من رجلينِ سواي
وأنا لديَّ طفلان من امرأةٍ سواكِ،
أنتِ واسطةُ العقدِ في ترتيبِ إخوتكِ،
وأنا الابنُ البِكْرُ لفلّاحَيْنِ نازحَيْنِ من وحْلِ الجَهالةِ
إلى وحْلِ المجهولِ
تكبُرينني ببضعةِ أعوامٍ
وأكبُرُكِ بسنين من الأبوَّةِ
ألمحُها في عينيكِ كلَّما تكوَّرتِ كلبوةٍ
فرَّتْ من الفخاخِ المنصوبةِ
إلى ذراعيَّ
أُمُّكِ وأُمِّي عجوزان
تشتكيانِ مساخرَ الزَّمنِ
وآلامَ الروماتيزمِ
ولكلٍ منَّا لهجتُه المألوفة

وفصاحتُه

التي اكتسَبها من الشَّوارعِ...

تعالي نتصارحْ؛

فوق هذا الفراشِ الواسعِ الخشنِ

الذي نتخامَشُ فيه كقطَّينِ هاربينِ

من بردِ الطُّرقِ المعْتِمةِ

ونحن نرتشفُ ريقينا المُملَّحينِ

بالتَّبغِ والنَّبيذِ

في قبلاتٍ ساخنةٍ وبطيئةٍ

تحتَ ضوءِ الشُّموعِ

أَمَا رأيتِني حين ولدتكِ أمُّكِ

وأنا أنحني فوقَ بطنِكِ،

وأقطعُ بسكِّينٍ صدئٍ حبلَ سُرَّتِكِ الملفوفَ

قبل أن تصرخي ببكائِك الأوَّلِ في هذا العالمِ؟

أما رأيتِني وأنا أمسحُ رأسَكِ الدَّافئَ من دمِ النِّفاسِ

وأزيلُ بقايا الدَّمِ المتجلِّطِ

من بين فخذيكِ المزرقّتَينِ؟

تقولين: «لم أركَ

لكنَّني شعرتُ بإصبعِكَ النَّحيلةِ ذات الظِّفرِ المُسودِّ وهْي تمسحُ عانتي فتنشقُّ من تحتِها شفتان حمراوان، وينبتُ بينهما لسانٌ صغيرٌ أحمرُ كالدَّمِ، سمّيتَه أنتَ «وردتَكَ المخفيَّةَ «

وسمّيتُه أنا «هامةَ الخجلِ «

لم تريني

لكنَّكِ شعرتِ بإصبعِي المسودَّةِ
ولم أرَكِ
لكنَّني شممتُكِ تحت ملاءاتي
وجسستُ نبضَكِ في الوريدِ
أسفلَ القلبِ قبل أن ينبضَ
وقبل أن ينغرسَ فيه أوَّلُ مبضعٍ للوجعِ،
وقبل أن تندسَّ فيه
أوَّلُ بقعةٍ سوداءَ
من أثرِ الحياةِ
كنتِ بين شفتيْ أبي وهْوَ يَهُمُّ بأمِّي
وكنتُ بين نهديْ أمِّكِ
قبل أن يهُمَّ بها أبوكِ
واليومُ
تكبرُ على كفّينا ورودُنا التي تجفُّ
قبل أن تتفتَّح
ونحنُ نسير منحنيَيْن تحت ثقلِ خشبةِ المحراثِ
وثمَّة من يضربُ ويضربُ
ونحن لا نشعرُ ولا نئنُّ
وإنَّما نسيرُ
كي نفتحَ خطوطًا في قلبِ التُّربةِ
وندعُ للشَّمسِ
مُهِمَّةَ قتلِ ديدانِ الأرضِ.
تعالي نتصارحْ؛

ثلاثُ سنينَ
لحسنا فيها ملحَنا وعرقينا وماءَنا ودمَنا المُراقَ
دون أن نتباعدَ أو نفترقَ
بكينا وصرخنا
شتمتُكِ وحرقتُ قلبَكِ
لعنتِني
وبصقتُ عليكِ
وبصقتِ عليَّ..
طفلاكِ تربَّيا في بيتي مع طفليَّ
واشتريتُ لهما الهدايا
واللُّعبَ والملابسَ الجديدةَ
وأنتِ حمَّمتِ طفليَّ
ولعبتِ معهما فوق النَّجيلِ المُندَّى
وعلَّمتِهما لهجَتكِ
وهمستِ في آذانِهما بكلماتِك القبيحةِ
كي يكبرا عارفين الدنيا.
صارحيني إذن،
قولي لي لماذا أصرخُ فيكِ الآن هكذا
وأنا أعتليكِ ضاربًا ردفيكِ بكفَّي
كفرسٍ
لجامُها الأسودُ الطَّويلُ
ملفوفٌ على يدي
عرقٌ ينزُّ تحت إبطيَّ

كلَّما فكرتُ في لمسةِ لسانيَ المحمومِ
لحلمتكِ الورديةِ
كأنَّكِ لم تُرضعي طفليكِ
كأنَّهما لم يخرجا من بطنِكِ المدوَّرِ بعمليَّتينِ قيصريَّتينِ
وكأنَّني ما أنجبتُ ولا حمَّمتُ ولا نهرتُ ولا قرصتُ ولا نظَّفتُ
ولا بكيتُ كطفلٍ
حين يمرضانِ
شامةُ كتْفكِ اليسرى
التي هي أشدُّ قتامةً من شامَةِ كتْفكِ اليمنى
ستدُلُّني على أوَّلِ الدَّرجِ
في سردابِ روحكْ
وسُرَّتُكِ المدوَّرةُ
الغائرةُ في اللحمِ
سأعلِّقُ عليها مفتاحَ الحياةِ المسودَّ
شاربُ ملحِ عرقي
المعلَّق في رقبتي
منذ ولدتني أمِّي
سأبدأُ الكلامَ من آخرِ نقطةٍ في السَّطرِ
دون فواصلَ
ولا نقطٍ
ولا مساحاتٍ فارغةٍ بلا معنى
وتعالي
نتصارحْ...

حدوتة

كان ياما كان
امرأةٌ جميلةٌ بعينين واسعتين
ولها عشرةُ أصابعَ طريّةٍ ودافئةٍ كرغيفِ خبز
كان يا ما كان
رجلٌ نحيفٌ طويلٌ
وله عشرة أصابع خشنةٍ
كفروةِ قنفذٍ
قال الرَّجلُ للمرأةِ: «أحبُّك».
وقالت المرأةُ للرَّجلِ: «أحبُّك».
ألفُ شمسٍ وألفُ ليلةٍ
مرَّت هكذا
سريعةً ومتعاقبةً كحبَّاتِ مسبحةٍ
حتَّى فتحا أعينَهما يومًا
على عيالٍ كثيرةٍ يملؤون أركانَ البيتِ
ومسؤوليّات لا تتوقَّفُ عن النموّ والانتشارِ
تحت جلديهما
كأنَّها خلايا سرطانيَّةٌ شرهةٌ
تحت المرأةُ عينيها -في صباحٍ مُنَدَّى - على أصابعِها
فوجدتها خشنةً كفروةِ قنفذ
وفتحَ الرَّجلُ عينيه على أصابعِه
فوجدَها دافئةً وطريَّةً

كرغيفِ خبز

قالت المرأةُ للرَّجلِ:

«لم أعد أحبُّك».

وقال الرَّجلُ للمرأةِ:

«لم أعد أحبُّكِ».

بيدٍ يمنى

طريَّةٍ ودافئةٍ كرغيفِ خبزٍ

ويدٍ يسرى

خشنةٍ كفروةِ قنفذ

سيكملُ لكم عيالُهما

بقيّةَ الحكاية.

عشرة أظافر

رأيتُهـا في الحلم مرَّتين، المرأةَ ذاتَهـا، في المرَّةِ الأولى لم أقبِّلْهـا لحظـةَ الـوداعِ، لكنَّني فعلتُ في الثَّانيـة. كان معي من يعرفُها، أخبرني بذلك وهي تخطو نحوَنا مع أخرياتٍ، اللواتي لم أعد أذكرُ لماذا تواجدن هكـذا في حلم لن يلعبنَ فيـه أيَّ دورٍ حقيقيٍّ أو مؤثِّرٍ، شـعرتُ بحضورِها وحدها يستفزُّ بداخلي شيئًا ما، كنتُ واقفًا تهتزُّ ملابسي المفتوحةُ على صدري بفعلِ الهواءِ الخفيف.

حين فتحتُ عينيَّ وأنا أقبِّلُها، كان ابني نائمًا في حضني، يتشبَّثُ بي في قوّةٍ.

ابنُ ثلاثِ سنين،

وأظافرُه العشرة

تنغرسُ عميقًا

في عنقي الدَّافئ.

أرملة

الـواقـفـةُ الآن
تتأمَّل فراشَها بذراعين مغروستين في الخاصرة
البيضاءُ كالثَّلجِ،
الطَّويلةُ، النَّحيفةُ
التي عادت للتوِّ
أرملةً من المقبرةْ
تقفُ كلبوةٍ على مشطيْ قدميها
كأنَّها تهمُّ بالدِّفاعِ عن صغارِها
بعد أربعين سنةً
ستتمكَّنُ أخيرًا من قلب المَرْتَبةِ على ظهرها
حربُها الطويلةُ الخاسرةْ
تُحْسَمُ الآن بضربةِ حظٍّ
على الأقلِّ..
ستكون رقدته للمرَّةِ الأولى
تحتها !

أنا ابنها الحرام

وماذا لو جَررتكِ الآن من شَـعْرِكِ ورفعتُكِ عن فِراشِـكِ وأنا أشـدُّكِ ساحبًا جسدَكِ فوق درجاتِ السُّلَّمِ لأرميكِ عاريةً في الشّارع...

وماذا لو أنَّني لففتُ خُصلاتِ شَعرِكِ هذه على يديَّ هكذا وسـحلتُكِ في الأزقّةِ والحاراتِ وجعلتُ مِنْكِ مَسْـخرةً أمام النَّاس، سأدورُ في الطُّرقات وأنا أَجرُّكِ خلفي صارخًا في العابرين أنْ تفرَّجوا، شـاهدوا بأعينكم المرأةَ التي دوَّختكم وأنتم تجرون خلفَها أعماركم كلَّها، ها هي بلحمها وشـحمها عاريةً ومجروحةً، ها هي برائحة عرقها ووسخها وابتسامتها الصَّفراءِ ودماءِ حيضها، ها هي بلعابها المختلط بدمها، تُسـحَلُ وتصـفَعُ وتُرمى بالحجارة أمام النَّاس، مفتوحةَ السَّاقين ومذلولةً لمن أراد، أنا ابنها وأبوها، وأرفعها أمامكم كي تكون

مـلءَ عيونِكم، افتحـوا ســـراويلَكم، بولـوا أو اســـتمنوا، اطفئوا سجائركم أينما أردتم، في لحمها أو في فرْجها، ابصقوا عليها وابصقوا عليَّ

أنا ابنها الحرام

وأبوها الزَّاني بها

وهْي أمِّي التي ولدتني دون أن تعرف أبًا لي

وابنتي التي ربّيتها في أحضان الآخرين

أنا ظِلُّها الرَّماديّ

وهْي جسم ظلِّي

وظلّانا موحلان الآن

تحت أقدامكم

وكلانا

قاتلٌ

وقتيل..

....

ورأيتُني و اقفًا

كمن سهمٌ بالنِّداءِ

على أحدٍ

(1974 - 2005)

حبيبتي... وأعرفها

غبيّةٌ وتموت !
لا تعرفُ أنَّني تعبتُ حتى وجدتُها
لا تعرفُ أنَّني أهدرتُ من عمري عشرةَ أعوامٍ في محبَّتِها، زرعتُ ورودًا كي تزهرَ في الصَّباحاتِ النَّديّةِ أمام شبَّاكِها المفتوحِ، وغيَّرتُ ألوانَ جدرانِ بيتِنا كي يحْلو لها تَخيُّل البحيراتِ التي تترقرقُ خلفَ حجارةِ الغرفةِ
غبيّةٌ
وتتركُ نفسَها فريسةً للموتِ، لم تقاومْ ولم تجزعْ ولم تصرخْ ولم تبكِ ولم ترفع إليَّ عينينِ واسعتينِ مملوءتينِ بالنَّدى الملَّحِ كي تناشدَني أن أترجَّى الموتَ يتركُها نائمةً في حضني
حبيبتي... وأعرفُها
رفعتْ جفنَيها المزرقَّينِ وأنزلتهما ببطءٍ
حاولتْ تحريكَ إصبعِها السّبابةِ كأنَّها ستنهرُه كأمٍّ
ثمَّ رفَّتْ ابتسامةٌ بائسةٌ على شفتيها
حين رأت ستارةَ الشُّرفةِ تهتزُّ
من أثرِ عبورِه الشَّفيف.

صورة

أنتِ ذاهبةٌ الآن إلى رجُلِكِ التُّونسيِّ العجوزِ كي يضاجعَكِ ويهمسَ في أذنيكِ بالكلماتِ الإباحيَّةِ وهْو يعتليكِ ضاربًا ردفيكِ بقوّةٍ كي يداري خذلانَه بين ساقيكِ في المرَّةِ السَّابقةِ، وأنا ذاهبٌ لأنامَ في غرفةٍ بفندقٍ مجهولٍ لم أزرْه من قبلِ يطلُّ على مجرًى مائيٍّ في شارعٍ غريبٍ بأمستردامَ الممطرةِ دومًا، سيكونُ عليَّ أن أتمشَّى معكِ حتى محطَّةِ التِّرامِ الأخيرِ قبلَ أن أودّعَكِ بقبلتينِ سريعتينِ على الخدَّينِ، وقبلَ أن تودِّعيني بوجهٍ مبلَّلٍ وشعْرٍ تسقطُ أطرافُه المجعَّدةُ السَّوداءُ على عينيكِ العسليَّتينِ...

تعالي نقلبِ الصورةَ...

أنا ذاهبٌ الآن إلى امرأتي التُّونسيَّةِ العجوزِ كي أضاجعَها وأهمسَ في أذنيها بالكلماتِ الإباحيَّةِ وأنا أعتليها ضاربًا ردفيها بقوّةٍ كي أُداري خذلاني بين ساقيها في المرَّةِ السَّابقةِ، وأنتِ ذاهبةٌ لتنامي في غرفةٍ بفندقٍ مجهولٍ لم تزوريه من قبلِ يطلُّ على مجرًى مائيٍّ في شارعٍ غريبٍ بأمستردامَ الممطرةِ دومًا، سيكونُ عليكِ أن تتمشّي معي حتى محطَّةِ التِّرامِ الأخيرِ قبلَ أن أودِّعَكِ بقبلتينِ سريعتينِ على الخدَّينِ وقبل أن تودِّعينَني بوجهٍ مبلَّلٍ وشعْرٍ تسقطُ أطرافُه المجعَّدةُ السَّوداءُ على عينيكِ العسليَّتينِ...

هل تغيَّرَ شيءٌ ما

في المعنى؟!

ابن صُلبي

المرعبُ أنَّني كنتُ أصدِّق
ما يحزُّ في روحِ روحي
أنَّني كنتُ أصدِّق
قلبي لم يحرنْ ويرفسِ الأرضَ
حين كانت ترفعُ يديها عاليًا وتهدِّدُني بالعقابِ
بل كان يستكينُ راضخًا لعينيها الواسعتين
وأصابعِها التي تلوِّح في الهواءِ.
أمّي...
الطِّفلةُ التي كبُرتْ في غفلةٍ منَّا،
تلاعبُ الآن ضاحكةً ظلَّ ابني الصَّغير
وهْو يعدو مزقزقًا لاهيًا عن يدِها الطَّويلةِ التي تتظاهرُ بعدمِ قدرتها على الإمساكِ به،
أيّ متعةٍ سيحملُها قلبُكَ البكرُ
من هذه اللحظاتِ التي تفرُّ عابثةً
يا ابنَ صُلبي؟!

لعنة

اللعنةُ على اللغةِ
بالحروفِ ذاتِها
تُكْتَبُ الجملةُ
ويُكْتَبُ
نقيضُها !

اقتل شبحًا

رجلٌ هشٌّ صغيرٌ
متَّهمٌ بخنق حبيبته
وامرأةٌ أضعفُ من أن تحمل سكّينًا
متهمةٌ بطعن حبيبها
حتى صار مصفاةً بين يديها
كلاهما لا يعرف الآخر
لكنَّهما حين كانا يدافعان عن نفسيهما
كانا يؤكّدان أنَّهما بريئان
يقولُ: لم أخنقها
كنت أنتقمُ من محبَّتي فيها
وتقولُ: لم أطعنه
كنت أحاول أن أفصل قلبي
عن محبَّته !

قبر

وكلَّما حفرتُ قبرًا
وجدت جثَّتَكِ راقدةً
كأنَّها دُفنت للتوِّ!
أدوخُ
كي أتخفَّى عن النَّاس
وعندما أعثرُ على بقعةٍ بعيدةٍ عن الأعين
تليقُ أنْ تكونَ قبرًا
أبدأُ في الحفر
لأجدكِ نائمةً..
ألفُ مرَّةٍ
وألفُ جثَّةٍ تشبهكِ
كم من رجلٍ حمل جثَّتَكِ
وأعمى عنكِ العيون
وكلَّما حفر قبرًا
وجدكِ غافية فيه
يا «محبَّة»؟!

ردح

كلُّ اللواتي مررن من هنا
لم يعرفنَكِ على حقيقتِكِ
كلهنَّ رأينَكِ من خلفِ سُتُرٍ
وأحجبةٍ
ومتاريسَ
ونوافذَ مغلَّقةٍ
وستائرَ تشي بما ليسَ خلفَها
كلّهنَّ
مررنَ عليكِ نائمةً على هذا الفراشِ
دون أن يتحسَّسنَ جلدَكِ جيّدًا
دون أن يعرّينَك من ظِلّكِ المنسدلِ عليكِ
كأسودِ الأرملةِ
دون أن يخربشنَ روحَكِ الحقيقيَّةَ بأظافرَ حقيقيّةٍ
لنساءٍ حقيقيّاتٍ
دونَ مشاجرةٍ معكِ
يردحنَ لكِ فيها بالمخفيِّ والمكتومِ
ويوسِّخنَ سمعتَكِ
لم أجد بينهنَّ واحدةً
تمسكُ بكِ وتمسحُ بكرامتكِ الأرضِ
تخمشُ لحمكِ بالغيظِ والأظافرِ والغلِّ والأسنانِ
وتشدُّ شعرَكِ من جذورِه

كنتُ أتمنّى
لو أجدُ بينهنَّ قحبةً حقيقيّةً
كي تفضَحكِ علانيةً في الشَّارعِ
تمسكُ بكِ
وتركبُ فوقكِ كامرأةٍ شعبيَّةٍ أصيلةْ
وهي تعرِّيكِ من سروالِكِ الدَّاخليّ لتفضحَ عورتَكِ
ثمَّ ترفعَه كرايةٍ مسلوبةٍ أمامَ النَّاسِ
كلُّ اللواتي مررنَ من هنا
لم يعرفنكِ على حقيقتِكِ
يا «محبَّة».

....

ورأيتُهم قادمينَ من بعيدٍ

مغبَّري الثِّياب

مغبَّري الذُّقون

(1974 – 2006)

حكاية

ابنُ مجانين؛
عشرون عامًا وهْو يلحُّ
عشرونَ عامًا
وهم يرفضون
ألفَ مرَّةٍ يطلبُ أن يسمحوا له بزراعةِ اللِّبلابِ
حولَ أسوارِ ساحةِ السِّجنِ
وما من أحدٍ يسمعُ
قال لهم
إنَّ الأسوارَ قبيحةٌ هكذا وجرداءُ
فالأسلاكُ الشَّائكةُ المنصوبةُ فوقَ جدارِ السُّورِ العريضِ
تجعلُ المنظرَ بشعًا
ولا يُحتمل
وقطعُ الزُّجاجِ المكسورةِ
وشظاياهُ المغروسةِ بين الحجارةِ
تخيفُ الطُّيورَ المهاجرةَ
فلا تحطُّ
ولا تستريحُ
وإن أخطأَ سربٌ وحطَّ
صعقتهُ الكهرباءُ
قبل أن يريحَ جناحيه المجهدَين
عشرونَ عامًا يا خلقُ !

دونَ أن يتعبَ أو يكلّ
هم من ملُّوا في النِّهاية
أعطوه جذورًا سميكةً وفأسًا
وصاحبُنا
لم يصدِّق نفسَه
بدأَ في تقليبِ الطِّينِ الرَّمليّ أسفلَ الأسوارِ
بهمَّةِ عشرين رجلاً
تحسَّنَ سلوكُه
وأصبحت ساعاتُ راحتِه الثَّلاثُ
مُسخَّرةً كلَّ يومٍ
لرعايةِ العيدانِ الرَّفيعةِ الغضَّة
كبُرتْ النَّبتةُ
وبدأت تُلقي بنفسِها خارجَ الأسوارِ
متخطِّيةً بأغصانِها الطَّريَّةِ الأسلاكَ الشَّائكةَ
وملتفَّةً بأوراقِها المبلَّلةِ بالنَّدى
حولَ قطعِ الزُّجاجِ المكسورةِ
حادَّةِ الحوافِّ.
لم يعد هذا الكهلُ الذي
قضى عشرينَ عامًا في الزِّنزانةِ نفسِها
دون أن يتغيَّرَ
صار شابًّا
ويقصُّ لحيتَه كلَّ أسبوعٍ
يضحكُ لمزحاتِ رفاقِه

ونكتِهم الإباحيَّةِ المكرَّرةِ
ويبتسمُ في وجوهِ حرَّاسِ السِّجنِ
الذين لم تزل آثارُ ضرباتِهم
واضحةً
على ظهرِهِ العريضِ
وحين بدأ نوَّارُ أوَّلِ زهورٍ لنبتةِ اللِّبلابِ يظهرُ في الأعالي
كان جسمه مرميًّا بإهمال فوق الطِّينِ الرمليِّ
بعشرِ طعناتٍ في الصَّدرِ والرَّقبةِ
وكان دمه القاني
ينزُّ ببطءٍ
فلا تتركُ النبتةُ منه
شيئا.

طاعة

محجَّبةٌ
كلَّما ضربَها هواءُ الصُّبحِ
تكورتْ حبَّتا كرزٍ صغيرتانِ
تحت سوتيانها الرَّقيقِ
كأنَّ حبيبها البعيد
همَّ بمدِّ أصابعه النَّحيلةِ
أو حتّى
اكتفى بالنَّظرْ.

قَسَم

... والتَّفاصيلُ
... والأشياءُ تتراكم فوق بعضها البعض
... والذِّكريات
... وقُبَلٌ لا تعدُّ ولا تحصى
... ودموعٌ جفَّفتْها مناديلُ الوحدةِ مرَّة
ونسيتها مناديلُ الرَّحمةِ مرَّات
... وألفُ مشاجرةٍ
... وألفُ مصالحةٍ ملفَّقةٍ
لأجل عناقٍ
يطولُ أو يقصرْ
... ورجلٌ يغادرُ في الضَّبابِ
... وامرأةٌ تتلاشى في الوضوحِ
... ما من لغةٍ يا أبجديّةْ
... وما من أبجديّةٍ
يا لسان.

وقلت إذا...

وكنتُ إذا استدرتُ أراها، وإذا أغمضتُ عينيَّ أراها، وكنتُ إذا سرتُ يمينًا أو يسارًا أو نزلتُ أو صعدتُ أو جلستُ أو وقفتُ أو رميتُ نفسي من الطَّابق العشرين أراها، وقلتُ إذا استطعتُ أن أغمضَ عينيَّ وأتجاهلَ رقودَها عاريةً على كنبةِ الصَّالون أمامي، وإذا نسيت أنَّ لي أنفًا يشمُّ رائحتها، وإذا نسيتُ أنَّ لي يدين تستطيعان تجاهلَ نهديها الملفوفين أمام عينيَّ الآن غافيين في سوتيانها الأسود، وإذا نسيت أنَّ لي عشرة أصابعَ تستطيعُ أن تتجاهل خصلاتِ شعرها المحلولِ، وأنَّ لي لسانًا يقدرُ أن يتناسى طعمَ لسانِها ملفوفًا وساخنًا ومحمومًا، وإذا انشغلتُ بالتَّدخين.. سيجارةٌ تُشعل من أخرى، وإذا أعميتُ قلبيَ النَّابضَ أمامها الآن بغشاوةِ الخمرِ والنَّبيذِ والكحولِ والماريجوانا

فسوف تختفي من أمامي

ستصبحُ كنبةِ الصَّالون فارغةً وخاليةً، كي أتمدَّد أو أتعرَّى أو أتقلَّبَ
أو أنكمشَ أو أقفزَ من فوقها على البلاط،
لأرجع هذا الصَّبيَّ البريءَ من دمها
هذا الطفلَ الذي يجري فيسقطُ
فيقومُ فيجري فيسقطُ
لاهيًا عن يوم سيجلسُ فيه جلستي هذه
أمام جثَّةِ امرأةٍ
تحتلُّ كنبةَ صالونِه الوحيدةِ
يدورُ حولها
وهْي ترمقُه كذئبةٍ ميتةٍ
بعينينِ
نصفَ مفتوحتين.

!

تحبُّه

ويحبُّها

....

....

لكنَّها

....

....

جعلتْ له

في كلِّ عاصمةٍ

عشيقة!

امرأةٌ...

تنامُ أوَّلَ الليلِ في فِراشٍ مُهندَمٍ
لا ينبِشُه رَجُلٌ
ولا يكرمشُ شراشفَه رَجُلٌ
ولا يزلزِلُه في مكانِه انهدامُ رَجُلٍ
ولا يخلخلُ جَنباتِه سُعالُ رَجُلٍ
ولا يقلبُ عَرشَ عالِيه إلى أسفلِه
ذراعا رَجُلٍ...
امرأةٌ تنامُ أوَّلَ الليلِ
هكذا...
نظيفةً ومُرتَّبةً ومُسرَّحةَ الشَّعر
وعطرُها متروكٌ ومهملٌ
بين نهدين لامعينِ
دون عشرةِ أظافرَ
تخربشُ المُهمَلَ والكامنَ والرَّاقدَ والمنفلتَ والمومئَ والنَّاظرَ من خلف أحجبةٍ
لا تسترُ ولا تحمي
ولا...
دونَ شَفةٍ
تشـــقُّ الغائرَ والبارزَ والسَّـــارحَ والشَّـــاردَ والبارقَ والرَّاعدَ والهادئَ والسَّـــاخنَ والمحمومَ والمتلصِّـــصَ مثلَ منبوذٍ من كوَّةٍ لا تُخفي ولا تَعْصِمُ

ولا...
دونَ جَسدٍ
يتحسَّـسُ الذَّليلَ والمتكبِّرَ والهامسَ والمُصـغيَ والسَّـامعَ والمنصـتَ
والمتمتمَ والمرتبكَ والصَّـامتَ والصَّـارخَ تحت عتمةٍ لا تنيرُ وغبشٍ لا
يقولُ
وبصيصٍ لا يقودُ ولا يَدُلُّ
ولا...
دونَ قلبٍ
يرْجُفُ وهو يقتربُ من راعشٍ مُتصـلِّبٍ مُتحرِّكٍ ليِّنٍ مُخَـدَّرٍ مُؤدَّبٍ
طَريٍّ طَيِّعٍ عَصيٍّ دافئٍ رخوٍ وغافٍ
على هدأةِ اللحظةِ العابرة...
دونَ عشرةِ أصابعَ
تَمَسُّ المُصـفَّى والنَّقيَّ والنَّديَّ والرَّيانَ والمسـتقرَّ والمهتزَّ والثَّابتَ على
عرشٍ لا يُذِلُّ ولا يغضُّ الأبصارَ ولا يُرعِشُ القلوبَ ولا يكسرُ النُّفوسَ
ولا...
امرأةٌ...
كبستانٍ بلا وردٍ ولا زهرٍ ولا نحلٍ يَطنُّ ولا شَوْكٍ ينغرزُ في الرَّهيفِ ولا
أرضٍ مَبلولةٍ أو جَافَّةٍ أو مُشقَّقةٍ
ولا ظلٍّ ولا عَراءٍ ولا دَاليةٍ ولا شَجرةٍ تُثمرُ في الغَفْلةِ
ولا في الصَّحو ولا في الشُّرودِ
ولا...
امرأةٌ
بلا قَطفٍ ولا مَنْجَلٍ ولا حَصَادٍ ولا حَصَّادِين

بلا زرعٍ ولا قلعٍ ولا عنقودِ عِنَبٍ يُعْصَـــرُ ماؤُه في فمِ الليلِ ولا طيورٍ جارحةٍ تتخفَّى على شَجرِ التَّأهُّبِ في انتظارِ فُرصةِ الانقضاضِ على المُتَاحِ والمُخبَّأِ والمُكْتَنَزُ والمَدْفُونِ..

... ولا...

امرأةٌ نائمةٌ..

أخفُّ من نَفَسٍ

وأقلُّ من حجرٍ

وأشفُّ من شجنٍ

وأوهنُ من جناحي فراشة..

نائمةٌ...

بلا حولٍ

ولا قوَّةٍ

ولا أسفٍ

ولا رحمةٍ

ولا حسرةٍ

ولا ملامةٍ

ولا ندامةٍ

...

ولا...

....

ورأيتُ ابنيَّ

يحملان نعشي ثقيلاً

فوق كتفيهما الخضراوين

(1974 - 2007)

الحصار

ما يحيِّرني
ليس الرَّجلُ الذي ظلَّ صامدًا بين الأسوارِ
تحيطُه الجثثُ ورائحةُ الموتِ من كلِّ ناحيةٍ
ليس الرَّجلُ الذي اتّخذَ من جوعِه سندًا
ومن قلبِه درعًا
ما يحيِّرني
ليست السِّهامُ التي ما تكفُّ عن الطَّيرانِ عاليًا
قبل أن تسقطَ كلُّها في الموضعِ نفسِه من قلبِه
حتى إنّ السِّهامَ الجديدةَ تضطرُّ إلى أن تفلقَ القديمةَ
كي تنغرسَ عميقًا في النُّقطةِ ذاتِها
من قلبِ قلبِه..
ما يحيِّرني
ليس قلبُه

قبضــةُ اليدِ النَّابضــةِ التي ظننتُ في البدايةِ أنَّ السِّــهامَ القادمةَ من
علٍ ستفتِّتُه تمامًا، وتجعلَ منه مصفاةً مخرَّمةً، أو تحطِّمُه إلى ألفِ
قطعةٍ
ما يحيِّرُني
هم هؤلاء الذين يربضونَ خلفَ الأسوارِ بصبرٍ لا ينقصُ ولا يكلُّ
يفتحون أقواسَهم الواسعةَ ويثبِّتون سهامَهم فيها
ثم يطلقونَها بعينينِ مفتوحتينِ على اتّساعِهما في الشمسِ الحارقةِ
كيف كانوا يصــوِّبون وهم لا يرونَ شــيئًا من الرَّجلِ القابعِ خلفَ
الأسوارِ
كيف عرفوا موضعَ القلبِ
كي يجعلوا سهامَهم
تسقطُ هكذا طوالَ الوقتِ
في النُّقطةِ ذاتِها؟!

نُطْفة

المشكلةُ؛
ليست في حملِ نعشِكِ يا «محبَّة «
ولا في احتمالِ السَّيرِ في جنازتِكِ
كأنَّني أتمشَّى معكِ
للمرَّةِ الأخيرة
المشكلةُ ليست في الرَّائحةِ
التي تفوحُ من بينِ نهديكِ
ولا في وجهِكِ المسودّ
تحتَ طبقاتِ أكفانِكِ العشرة
ليست المشكلةُ في رفعِ العينينِ
في وجوهِ الذينَ يشيّعونَكِ معي
إلى قبرِكِ الأخير
ولا في مدِّ الكفِّ
إلى الأيادي المفتوحةِ
كي أتلقَّى منها العزاءَ فيكِ

المشكلةُ
أنَّني لا أعرفُ كيفَ سأقدِّمُ نفسي
إلى كلِّ هؤلاءِ المشيِّعين؛
أيُّنا زرعَ نطفةَ الآخرِ
أنا من خلقتُكِ
أم جئتُ من صلبِكْ؟
المشكلةُ الحقيقيّةُ
أقسى عليَّ من حملِ نعشِكِ
أو السَّيرِ في جنازتِكِ للمرَّةِ الأخيرة؛
أنا ابنُكِ..
أم أبوكِ..
يا «محبَّة»؟!

تسامح

الصَّائدُ الذي كان يتباهى بسرعتِه في اقتناصِ الفرائسِ
الذي لم تضنَّ عليه الحيلةُ
باللامعِ والجديدِ والمبتكر
الجالسُ الآن في الرُّكنِ
يمسحُ ضوءَ عينيه من مياهٍ غامضةٍ
كبرَ...
لم تعد سرعتُه كافيةً لمباغتةِ الضَّحايا الجددِ
صغيراتِ السِّنِ وبريئاتٍ
لكنَّهن يملكن فطنةَ الحرصِ
يحتمين من فخاخِه
وأسلحتُهنَّ مخبّأةٌ في الملابسِ
لا يملكن خبرةَ الهروبِ من شباكِه
فهنَّ - أصلاً - لا يقتربنَ منها
لكنَّهنَّ رحيماتٌ به
يدعنه - رغمَ ذلك -
يمرُّ جوارهنَّ

في سلامٍ
الصَّائدُ
الذي كان يتباهى بسرعتِه في اقتناصِ الفرائسِ
أصبحَ متسامحًا
بل وامتلكَ بعد كلِّ هذه السِّنين
ابتسامةً راضيةً
بعد كلِّ هزيمةٍ.

جُثَّتُكِ الآن

وماذا أفعلُ الآن؟

رجلٌ وحيدٌ يجلسُ وهْو يدخِّنُ أمامَ جثَّةٍ ستتعفَّنُ عمَّا قريبٍ، تنامُ هادئةً وعاريةً - إلا من حسرتي - فوقَ كنبةِ الصَّالونِ، خياراتي محدودةٌ جدًّا وفقيرةٌ يا مسكينة، فإمّا أن أخرجَ الآن وأنا أحملُك إلى العراءِ المعتمِ وأحفرَ في الأرضِ مثلَ ذئبٍ لأدفنَكِ، وإمَّا أعبِّئُ أعضاءَكِ في جوَالٍ مربوطةٍ أطرافُه بأحجارٍ ثقيلةٍ وألقي بكِ في أوَّلِ نهرٍ يقابلُني..

المصيبةُ أنَّي لو دفنتُكِ في العراءِ، فسوف تنبتُ فوقَ جثَّتِكِ نباتاتٌ وأزهارٌ وشجرٌ غريبٌ، وكلَّما ارتفعت بسيقانِها عن جثَّتِكِ وظهرتْ للنَّاسِ، شمُّوا عطرَكِ وافتُضحتْ لُعبتي، ولو ألقيتُ بأعضائِك في النَّهرِ، فربَّما أذابتِ المياهُ الملوَّثةُ بمطهِّراتِ المياهِ جوَالَ جثَّتِكِ، وانفتحَ لتظهري من جديدٍ على السَّطح فيروكِ ويعرفوا من رماكِ..

أخبريني أنتِ...

ماذا أفعلُ بجثتِكِ الآنَ

يا «محبَّة»؟!

رحيق

وأقولُ: يا آدم
فتطير الفراشات تاركةً للنَّحل مُهمَّة الرَّحيق
ويُزهرُ الصَّبارُ العنيد في الشُّقوقِ
وأقولُ: يا إيليا
فيتبسَّم الرَّبُّ في الأعالي
وتعود الفراشات برحيقٍ غامضٍ
لتحطَّ على يديّ.

ثلاث جنازات.. لوردة

لو افترضنا أن التَّابوتَ الرَّاقدَ الآن في مقدّمةِ الكنيسةِ غالي الثَّمن
بالأحرى تابوت من الأبنوسِ المطعَّمِ بالعاجِ والصَّدفِ ومحارِ
الشَّواطئ
ولو زِدْنا في افتراضِنا وقلنا إنَّ بداخل التَّابوتِ جثَّةَ امرأةٍ بلغتْ حافَّةَ
العمرِ قبل أن تأخذَها النَّشوةُ فتَميلُ برأسِها لتنظرَ إلى أيّ مدى
وصلتْ بها قدماها فتسقطُ من علٍ مثل بطَّةٍ في موسمِ صيدٍ
هكذا تنتهي الأمورُ عادةً
مصادفةٌ غبيّةٌ تضعُ حدًّا لحياةٍ حافلةٍ بطولِها وعرضِها
افتراضنا سيتمدَّد ويستفحل فنقول إنَّ موسيقى الأرْغن الجنائزيّةَ
ما إن تختفي رويدًا رويدًا حتى نشاهدَ رجلاً كهلاً ذا لحيةٍ بيضاءَ
ومعطفٍ قصيرٍ من الكتَّانِ الأبيضِ يدخلُ القاعةَ متوكِّئًا على عصاهُ
الطّويلةِ ويتقدَّم وسْطَ صفَّي المقاعدِ برأسٍ منكَّسٍ ووردةٍ بيضاءَ
نديّةٍ في يده اليمنى كأنَّه سقط للتوِّ من روايةٍ لماركيز
كهلٌ
لا يعرفه أحدٌ ولم يرَهُ أحدٌ
ولا يعرفُ سرَّ الصّلةِ بينه وبين ساكنةِ التابوتِ أحدْ
ستبدأُ العقولُ في تخيّل آلافِ السيناريوهات
وتبدأُ التخيّلاتُ في افتراضات لا حدَّ لها عن قصّةِ عشقٍ غيرِ مكتملةٍ
تَشْهدُ الآن - وأمامنا جميعًا - مشهدَها الختاميَّ الأخير

منَّا مَنْ سـيفترض أنَّ الكهلَ سـيتقدَّمُ الخطواتِ المتبقّيةَ حتى يضـعَ الوردةَ البيضـــاءَ فوقَ مقدّمةِ التَّابوتِ وينهارُ باكيًا كطفل ضـــلَّ عن أبويه في الزّحام

ومنَّـا مَنْ ســـيفترضُ أنَّ هـذا العجوزَ المهلهـلَ المحنيَّ مثـلَ علامـةِ الاســـتفهامِ ســيشــتدّ عودُه مع كلِّ خطوةٍ حتى تنتفخَ رئتاه وهْو على مقربـةٍ من التـابوتِ، وبـدلاً من أن يضـــعَ الوردةَ النـديّـةَ، ســـيرفعُ التَّابوتَ ويقلبُه على رأسـه لينكشـفَ غطاؤُه ونرى وجهَ الميّتةِ شـاحبًا وكالحًا محاطًا بهالةٍ من الشَّعر الأبيضِ الوقورِ

ومنَّا مَنْ ســـيفترضُ أنْ لا العجوزُ ولا عصـــاهُ بقادرينِ على التَّقدُّمِ خطوةً أخرى وسينهارانِ وسْط الممرِّ لتصبحَ الجنازةُ جنازتينِ

عينانِ وحيدتانِ لامرأةٍ عجوزٍ في أوَّلِ الصُّفوفِ

كانتا تتّسعان عن آخرِهما

هي التي أحبَّتِ الكهلَ عمرها كلَّه دون أن يعرفَ عن حبّها شيئًا

تكتشـفُ الآن أنَّه أحبَّ سـاكنةَ التَّابوتِ عمره كلَّه دون أن تعرف عن حبِّه شيئًا

يا لمصيرِ الوردةِ البيضاءِ النديّةِ

وحدها

كانت تعرف الثَّلاثةَ

وتحزنُ كلَّ يوم !

قاب قوسين

في الطَّريقِ
حيثُ لا وصلٌ ولا قطعُ
أخطو بلا خطو
وأدوسُ على سحبٍ بيضاءَ
مثل ثمرةِ القطنِ
أرفعُ عينيَّ
وأنظرُ في الجهات
فلا أرى أحدا
كفِّي
بيضاء أخرجُها
لأضغط على صدري
فأعرفُ أنَّني قاب قوسين
أو أدنى
وأنَّني
أعلى.

....

ورأيتُ نسوةً في المدينةِ
يشيِّعْنَني من خلفِ خصاصِ النَّوافذِ
بدمعٍ عاتبٍ مُرٍّ
(1974 - 2008)

وردة

أنا الرَّسولةُ
أوراقي نديّةٌ
كي أقولَ إنَّني أنعمُ من خدِّ الحبيبةِ
وأشواكي حادةٌ تنغرسُ في الأناملِ
كي أحميَ نفسي
من هشاشةِ نفسي
الرَّسولةُ أنا
يزرعونني في البساتينِ كي أنفثَ العطرَ
أُلقى على الجثثِ وفوقَ القبورِ
تُفرَطُ أوراقي فوق ماءِ الجميلةِ
قبل أن تتحمَّمَ
ويقطفونني في الموتِ وفي المحبَّة.
أنا الرَّسولةُ
نديّةٌ في الأصابعِ
ومجفَّفةٌ ومنسيةٌ
بين صفحاتِ الكتبْ.

يدي الخؤون

يدي اليمنى التي أمسـكتها القابلةُ العجوزُ يومَ ولادتي وقبَّلتها قبل أن تزيلَ عنها دمَ النِّفاسِ
يدي اليمنى التي إذا سقطتُ أسرعت كي تحمي لحمي وعظامي مغبَّةَ السُّقوطِ
يـدي اليمنى التي تحسَّـسـتْ نبتـةَ خجلِهـا في الليلـة الأولى والتي تحسَّست بطنَها المكوَّرَ مرَّتين
يدي اليمنى التي مسحت ملحًا متكلّسًا فوق صدغيَّ دون أن تتساءل إن كان عرقًا أم دموعًا
يدي اليمنى التي صـفعتْ خدَّها الورديِّ مرَّةً ولم تكرِّر الصَّـفعةَ مرَّة ثانية
يدي اليمنى التي تخطُّ هذه الحروفَ الآن
هي التي خانتني البارحةَ، ولم ترتفع كي تقطفَ النَّجمةَ التي طلَّت من ابتسـامةِ قطعةِ اللحمِ التي وجدتُّها بين يديَّ صـباحَ يومٍ غامضٍ من نوفمبر...
يدي الخؤونُ التي عاشرتني خمسةً وثلاثين عامًا
كيفَ سأسامحُك؟

قُبْلة

أمٌّ...
بعينينِ دامعتينِ من الفرحِ
تغسلُ بقعةَ المنيِّ الغامقةَ
فوقَ ملاءةِ ابنِها الوحيد.
أختٌ...
بتقزّزٍ فضوليٍّ شرهٍ
تزيلُ البقعةَ ذاتَها
زوجةٌ...
بحرقةٍ في القلبِ
ستتركُ له البيتَ
بعد مشاجرةٍ
حبيبةٌ...
ستكونُ أكثرَ طيبةً
وهْي تتحسَّسُ شعرَه
قبل أن توقظَه بقبلةٍ
على الجبين.

الرَّائحة إذ تستكين

كفُّكِ اليمنى
وهْيَ مرميّة على بطنكِ المشدود
أصابعكِ الخمسة الصَّغيرة
بأظافرها المنمَّقة المبريّة جيّدًا
كي لا تترك أثرًا على ظهري العاري
الرَّائحة
إذ تستكين وتغفو على حزام خصركِ الأزرق
وأنتِ ملقاة على المقعد المزيَّن بالورود
المشهد الأخير
لحياةٍ كاملةٍ تختصرها يد
وأنا
أقف محْنيًا أمامكِ
مثل راية حرب منكَّسة
وخلفي
سربٌ من النِّساء الغامضات
ينتظرن كي ينظرن إلى وجهكِ
للمرَّة الأخيرة.

إيليا

يكبرُ في بطنِها
وقلبي
حدوةُ فرسٍ تتأرجحُ على استدارةِ السُّرَّةِ
كلَّما مدَدتُ يديْ
كي أتحسَّسَ التَّكوّرَ الأملسَ الدَّافئَ
دفعتني قدمان صغيرتان
وانغرسَتْ في قلبي
سنُّ مسمارٍ رهيفٍ
اسمُه «الفرح».

وأظلَّتْهم سحابة

قيلَ: وجدوها في الصَّباحِ جُثَّةً طافيةً على ضِفَّةِ النَّهرِ
قيلَ: جَرَّدوها مِن ملابسِها في الليلِ
قيلَ إنَّ لحمَها نُهشَ في أماكنَ لم تطلْها العينُ من قبلُ
قيلَ إنَّ شعرَها كانَ مُربوطًا بإحكامٍ فوقَ رأسِها بدبّوسِ شَعْرٍ دقيقٍ حتَّى لكأنَّ العينَ لا تراهُ
قيلَ: عشرةُ أظافرَ تركتْ آثارَها واضحةً كفضيحةٍ فوق نهديها الملفوفينِ
قيلَ: عضَّةٌ ازرقَّتْ هُنا، وعَضَّةٌ ازرقَّتْ هناك
قيلَ: حملوها ومضوا يسألونَ النَّاسَ عمَّن يعرفُها
قيلَ: أنكرَها النَّاسُ وهم مُشفقين وحزانَى
قيلَ: ثمَّةَ سحابةٌ أظلَّتهم في رواحِهم وغُدُوِّهم من دارٍ إلى دار
قيلَ: لم يشمُّوا لها رائحةً فعفَّتْ عن سربهمِ المهرولِ الكلابُ الضَّالةُ وذبابُ الصَّيفِ
قيلَ: رفضَ أن يُصلِّي شيخُهُم على جُثمانِها ولم تُفتحْ لها مقابرُ النَّاسْ
قيلَ: أعادُوها إلى النَّهرِ رَابطينَ جِسْمَها بأحجارٍ ثقيلةٍ ملفوفةٍ في خيْشٍ
قيلَ: رفضها النَّهرُ بعدَ أيّامٍ، غاصت الأحجارُ في مياهِه
لكنَّه لم يقبلْ جُثمانَها
ثمَّةَ رائحةٌ غامضةٌ كانت تفوحُ من بينِ نهديها أزعجتِ النَّهرَ
فأعادَها طافيةً على سطحِه في الصَّباحْ.

. . . .

ورأيتُ شالَها يرفُّ في الهواءِ

خلفَ الجمعِ وهْي قادمةٌ

تتسنَّدُ على عصا

وتضربُ الأرضَ

كأنَّها ستنهرني

(1974 - 2009)

آنية من الفخار

كلَّما عرفتُ امرأةً
أمسكتْ قلبي كآنيّةٍ من الفخَّارِ وأمالته يمينًا ويسارًا
هزَّته بعنفٍ كنخلةٍ عاليةٍ
رمته بالصَّرخاتِ والنَّوى والحجارةِ وناعمِ الكلامْ
فتسقطُ أعشاشٌ وأجراسٌ وأدعيةٌ وأبوابٌ مغلَّقةٌ
تســقطُ مزاليجُ ونبلٌ ورماحٌ ولفافاتُ تبغٍ وأربعُ حدواتٍ لفرسٍ وفرسٌ
وعصا خيزرانٍ وصرخةُ أمِّي وهْي تلدُني
ودمُ الطُّفولةِ البكرِ حين سقطتُ وأنا أعدو خلفَ فراشاتِ الحقلِ
تســقطُ طيورٌ جارحةٌ وطرائدُ وفرائسُ وقنَّاصــونَ ونعلانِ باليانِ من كثرةِ المشي
وأثرُ أنيابٍ أربعةٍ لكلبِ جدِّي مثبَّتةٌ في ركبتيَّ اليافعتينِ وأســماكٌ ملوَّنةٌ اصطدتُها صغيرًا بصَنانير الجهالةِ...
تســـقطُ زهورٌ جافَّةٌ وجثثٌ طازجةٌ وأقلامُ حبرٍ وكماناتٌ وصـــيَّادونَ
ونايٌ وحيدٌ وطرقٌ مهجورةٌ وممرَّاتٌ معتِمةٌ وشـموعٌ وأهازيجُ وقصـائدُ
وصــبايا ولحمٌ حيٌّ وشــالاتٌ لنســوةٍ غامضــاتٍ وعواءاتُ ذئبٍ جائعٍ
وأناملُ طريّةٌ لطفلٍ وخفافيشُ وشقوقٌ مزيَّنةٌ بخيطِ العنكبوتِ
تسـقطُ خناجرُ مسـنونةٌ وخناجرُ مسـمَّمةٌ وخناجرُ تختبرُ الطَّعناتِ وهْيَ مخبَّئةً تحتَ غدرِ الملابسِ
تسـقطُ مطارقُ وأبرُ خياطةٍ وطائراتٌ ورقيَّةٌ وفؤوسُ وندهاتُ مبتورةٌ
وكتـبٌ ونبـاتـاتٌ برِّيَّةٌ وصــخـورٌ وصــبَّاراتٌ كبرت هكـذا في شـــقوقٍ

الصُّخورِ ورملٌ وحصًى مسنَّنةٌ ولغاتٌ وندوبٌ وصوتُ «فيروزَ» وهْو
يخربِشُ الرُّوحَ وصفعةُ أبي على خدِّي الأيسرِ
وخدِّي الأيمنِ الذي لم أُدره له أبدًا
ويسقطُ هدهدٌ وحيدٌ
عشَّشَ في آخرِ عتمةٍ ممكنةٍ...
كلَّما عرفتُ امرأةً،
أمسكتْ قلبي وعصرته
حتَّى ينزَّ روحَ روحِهُ،
إلا أنتِ
قلبي الذي يشبه آنيةً من الفخَّارِ
مالَ وحدَه
بين يديكِ.

ما قُرِئَ على شاهد قبر منسيّ

ليس هناك أكثرُ وحشةً
في هذا العالمِ
من قبرٍ
لم يعدْ يزوره
أحدْ.

طاولة غُسْل

طيِّبْ يا ناس؛
ماذا يفعلُ الواحدُ
حين يخبرونَه أنّ ابنةَ دمِه
ماتتْ؟
وجدوها عاريةً على قارعةِ الطَّريقِ
محلولةَ الإزارِ ومهتوكةً
نهشتْ لحمَها كلابُ السِّككِ
وصفعتْها الأيادي فوق خدَّيها
اللذين لم تمسَّهُما كفُّ أبيها
إلا بالرِّضا.
ماذا يفعلُ الواحدُ
حين يكونُ عليه حملُ جثّةِ عزيزٍ؟
يسترُ عضوًا
فيتعرّى آخرُ
والنَّاسُ يحيطونَه في نصفِ دائرةٍ
وهم يضربونَ كفًّا بكفّ
يقدِّم رجلاً ويؤخِّرُ أخرى
وطيفُ الصَّبيَّةِ
التي صارت جثَّةً محمولةً بين ذراعيهِ
يرفُّ أمامَ عينيه؛
تعدو ضاحكةً من أمامِه

كأنَّه سيهمُّ بإمساكِها
من ذيلِ فستانِها الطَّويلِ.
ماذا يفعلُ الواحدُ
حين يُدخلونَه غرفةَ الغُسْلِ
ليجدَ نفسَه أعزلَ
أمامَ جثَّةٍ مسجَّاةٍ
على طاولةٍ جرداءَ
ويكونُ لزامًا عليه
أن يُغسِّلَ هذا الشَّعْرَ الأسودَ الطَّويل
هذا الوجهَ الصَّبوحَ النَّديّ
هذا الجبينَ العريضَ
الذي طالما قبَّلَه بمهابةٍ
كأنَّه يُصلِّي
ماذا يفعلُ الواحدُ
غيرَ أن يتهاوى
واضعًا رأسَه بين كفّيهِ
في مذلَّةِ الخُسْرانِ
وهْو يجاهدُ في إغماضِ عينيه
كي يراها في البعيدِ
قطعةً من لحمٍ أحمرَ
حين حملَها أوَّلَ مرَّةٍ
بين كفّيه المرتجفتينِ
حين سهرَ الليلَ بطولِه

مُمسكًا كفَّها الصَّغيرةَ
المبلَّلةَ بملحِ دموعِه
حين نهرَها كي تعرفَ الخطأَ من الصَّوابِ
حين قبَّلَها
وحين شاجَرَها
وحين مرَّضَها
وحين حمَّمها
وحين ضفَّرَ شعْرَها
وحين فكَّ ضفيرتَها
وحين خبَّأها عن أعينِ النَّاسِ
وحين نامت مثلَ زهرةٍ غافيةٍ فوقَ حضنِه
عن رحيقِها المكنونْ.
ماذا يفعلُ الواحدُ يا ناس
حين يغلقونَ البابَ عليه
مع جثَّةِ امرأةٍ
حملَها عمرًا بأكملِه
كي لا يلوِّثَ قدميها
وحلُ الطَّريق؟!

حلم

وكنتُ كلَّما نمتُ
أرى نعشي يطوفُ الأرضَ
دون أن يعثر
على قبر.

كمن سيهمُّ بالنِّداء على أحد

... ورأيتُ صِبايَ يعضُّ طفولتي ويجري ليختبِئَ كطفلٍ بين قدميَّ
... ورأيتُ يدي اليمنى منسيّةً فوقَ رخامةِ القبرِ
... ورأيتُ ســاقيَّ تعدوان منِّي خلف عابرٍ ظمِئٍ فتتخطّاه وتســتمرُّ في العدوِ
... ورأيتُ سطورَ قصائدي موزَّعةً على قصائدِ الآخرينَ دونما سببٍ
... ورأيتُ قبري بعيدًا تحت ظلٍّ بلا شجرٍ ولا زهر
... ورأيتُني واقفًا كمن سيهمُّ بالنِّداءِ على أحدٍ
... ورأيتُهم قادمينَ من بعيدٍ مغبَّري الثِّيابِ مغبَّري الذُّقون
... ورأيتُ ابنيَّ يحملان نعشي ثقيلاً فوق كتفيهما الخضراوين
... ورأيتُ نسوةً في المدينةِ يشيِّعْنَني من خلفِ خصاصِ النَّوافذِ بدمعٍ عاتبٍ مُرٍّ
... ورأيتُ شالَها يرفُّ في الهواءِ خلفَ الجمعِ وهْي قادمةٌ
تتسنَّدُ على عصا.. وتضربُ الأرضَ
كأنَّها ستنهَرُني.

حِجْرُ أُمِّي

ونعشي
إذ يرتجُّ فوق الأكتاف
من خللٍ ومن ثقل
والطَّريق متربةٌ
تغوصُ الأقدامُ
فتثير هالةً رماديّةً
كأنَّها
تعمي العيونَ عن مشهدِ القبرِ
واثنان ينقِّيان مثوايَ الأخير
ويوسِّعان مساحةً خاليةً
من الحصى المسنَّنةِ
ورأسي مغطَّى

فلا أرى ولا أسمع ولا أشمّ
لكنَّني
أشعرُ بوقع الأقدام
تغوصُ في الأرض
وكنتُ إذ أرفع إصبعي السَّبّابة
كي أشيرَ لهم إلى طريق أخرى
لا يرونني
وكنتُ أنده فيهم
أن أعيدوني إلى حِجْر أمّي
وكنتُ فوق الجميع
أحلِّقُ فوق النَّعش
وأحاولُ أن أهبطَ إلى جسدي
فيمنعني
مسيرهم السَّريع
إلى القبر.

كتابة على قبر

وُلدْتُ..
من عبثِ المصادفةِ
وعشتُ..
على أملِ التَّأكّدِ
من مكيدةِ الزَّمنِ
ومِتُّ..
في منتصف المسافةِ
بين الحضورِ
وبين الغيابِ.

باب ثان

ستَّة أقدام تحت الأرض

ا

ابقي كما أنتِ
أريدُكِ هكذا
مَنكوشةَ الشَّعرِ
دونَ مَكياجٍ
أو أحمرِ شفاهٍ يجعَلُني أتردَّدُ قبلَ أنْ أُقرِّبَ شَفتيَّ من شفتيْكِ، دونَ طِلاءِ أظافرَ أو مزيلِ عَرَقٍ أو عطرٍ تخبِّئين خلفَه رائحَتَكِ الحقيقيّة، أريدُكِ عاريةَ الرُّوح، مسلوخةً وبيضاءَ، ها هنا، جالسةً أمامي، مُقيَّدةَ القدمينِ والذِّراعينِ ومفتوحةَ الفخذينِ، نحتاجُ أن نتحدّثَ طويلاً قبل أنْ نتفاهمَ، نحتاجُ أن نهبطَ إلى السَّراديبِ المعتمةِ كي نفتحَ صناديقنا المخبَّأةَ بعنايةٍ، تلك التي تراكمتْ فوق أغطيتِها طبقاتُ الأتربةِ والغُبارِ وعشَّشتْ فوقها العناكبُ، هذا الصُّندوقَ مثلاً، نعم، هذا، البنِّيَّ العريضَ، افتحيه، وستجدينَ بداخله كلَّ الصِّورِ التي التقطناها لوجهينا السَّعيدين حين كنَّا صغيرين، غافلينِ عمّا نحن فيه الآن
هذا الصُّندوقَ هناك، هل ترينه، ستجدين بداخله كلَّ الأماكنِ التي سرقنا فيها قبلاتِنا المحمومةَ: سلالمَ عمارات القاهرة العاليةِ التي ليس لها حرّاس، كورنيش إسكندرية ومقابرَ «ميلان» وشوارعَ «بورسعيد» وميدانَ «طلعت حرب» وقريةَ الفرعونية ومدينة السَّلام وليل «مدريد» وجلافةَ «بروكسل» وصيفَ «كتالونيا» ووسط البلد وموڤمبيك المطار وشيراتون الإسكندرية وأوراسي الجزائر وقحط المنامة، كلَّ الأماكنِ التي تركْنَا فيها ما يدلُّ علينا، هل تذكرين، هنا مثلاً قبَّلتكِ للمرة الأولى، في هذا الممرِّ الطَّويل بفندق

ثلاث نجوم على بحرِ إسكندرية، كنتِ خارجةً من حمَّامكِ الصَّباحيّ، وكنتُ أحاولُ تهجّي ألوانِ عينيكِ وأنا أختبئ من ضوءِ الشَّمسِ الذي يعميني عن النَّظر في الأزرقِ السَّماويِّ الذي لا تحدُّه شطوطٌ.

II

أحتاجُ الآنَ
أن أفتحَ أصابعَكِ هذهِ
وأضعَ روحي بينَها
كما لو كُنتِ طِفلةً صَغيرةً
أُعَلِّمها كيفَ تقبضُ على لُعبتِها الجديدة
الأرواحُ لعبٌ يا حبيبتي، الأجسادُ أيضًا، ثمَّةَ دائمًا ما يمكنُ لنا أنْ نُحوّلَه إلى لُعبةٍ نُلهي بها وقتَنا، تَصوَّري مثلاً أنَّني الآنَ مُستعدٌّ أن أَجْعَلكِ ترينَ أحشاءَكِ وهي تخرجُ من بَطنكِ الجميلِ هذا، فقطْ بحرَكةٍ واحدةٍ من نَصلِ هذا الخِنجرِ، وستَجِدِينها كلَّها أمامَ عينيكِ، لطالما كنتُ أرقبُ أمّي وهْي تنظِّفَ الدَّجاجَ والبطَّ والإوزَّاتِ والأرانبَ قبل أن تضعَها في الديب فريزر
كنت أحبُّ هذه اللحظاتِ، وهْي تهيّئ هذه اللحوم طازجةً ومستعدّةً للطهو في حال زيارةٍ مفاجئةٍ أو ضيوفٍ طارئين، وهْي تفصلُ المعدةَ عن الأمعاءِ وتُزيلُ الدّمَ الأحمرَ القاني المتجلّط وسْط اللحمِ، وهي تنتفُ الرّيشَ بالماء المغليّ وتفتحُ بالسكِّين عند الصَّدر، وهي تفصل غرفَ القلبِ وتغسلُه بالماء النَّظيفِ، لا يمكنُ لامرأةٍ ما أن تكون محترفةً مثل أمّي في تنظيفِ الطّيورِ المذبوحةِ، كنت أجلسُ منبهرًا كأنَّني أتفرَّجُ على ساحرةٍ تريني ما لم أره من قبلُ، أنظرُ إلى أصابعها

السَّـــريعـةِ المـدربَّـةِ وأتخيّـلُ كم كان هـذا الـدّيكُ جميلاً وهو يطاردُ دجاجاتِه منذ قليلٍ، كم كان رِيشُـــه يلمعُ تحت الشَّـــمسِ وهْو يعدو خلفهنَّ متباهيًا بذكورتِه، لذا لا تخافي، اطمئنِّي تمامًا، حركةُ الخنجرِ لن تشـعرَكِ بشـيء، اللَّهمّ بسـحْبةٍ خفيفةٍ لروحكِ، كما لو أنَّ عصـا الكمـانِ التي طالما أحببنـاهـا في موســيقى «الأب الروحي» قـد مرَّت سريعةً وخاطفةً على بطنكِ العاري.

III

قطرةُ ماءٍ واحدةٌ، وسـأجْعَلُكِ تُصـابينَ بالجُنونِ، التّعذيبُ والتّنكيلُ شــيءٌ ســهلٌ، لا يحتاجُ إلى خِبْراتٍ أو كُتبٍ لنتعلَّمَه، في مَكانِكِ هذا، وعلى مقعـدِكِ الجميـلِ المُلتـذِّ الآنَ بِسُــخونـةِ رَدفَيْـكِ الـدَّافئينِ، ســـأَجْعَلُـكِ تعرفينَ مَعنى العتمـةِ، مَعنى البرودةِ، مَعنى أن تكوني وحيدةً تمامًا، عاريةً تمامًا، ومَسـلوخةً تمامًا، هُنا، في هذا المُسـتطيلِ الصَّغيرِ سأجْعَلُكِ تعرفينَ قدْرَ نفسكِ، لن أفعلَ فعلَ الأغبياءِ وأبدأَ في خلعِ أظافركِ الجميلةِ المنمَّقةِ المبريّةِ جيّدًا واحدًا تلو الآخر، هذا فعلُ الضُّــعفاء، ثمَّةَ ما يمكنُ فِعْلَهُ والاحتفاظُ بجُثَّتكِ ســليمةً، ســأحتاجُها فيما بعدُ، حين أحمِلُكِ عاليًا وأرميكِ من النَّافذة على رؤوس المُتجمهرين تحـت بيتي يطـالبونَ برأسِـــك، فَهُمْ أَوْلى مِنِّي بلحمِكِ، نهمُهُم لن يشــبعَ إلّا بـالتهامكِ قطعـةً قطعـةً، كمـا فعلوا بـ«جان باتيست غرنوي»، لستُ مَخمورًا، أنا صاحٍ تمامًا، تظنِّينَ أنَّني بدأتُ أدوخُ من فِعْلِ زُجاجَتيْنِ حقيرتينِ من النَّبيذِ الأحمر؟ هاااا!
لا، اطمئنّي، شربتُهما نكايةً في دمِكِ
يا «محبَّة».

يقالُ إنَّ الرَّجالَ يُفضِّلونَ النَّبيذَ الأحمرَ القاني، فيما تُفضلُّ النِّساءُ النَّبيذَ الأبيضَ، طبعًا ثمَّةَ استثناءاتٌ في الأمر، لكن هذا ما يُقالُ، طيِّب.. أخبريني أنتِ: لماذا؟! شَغَّلي مُخّك، برافو!، شاطرة!!، ما قلتهِ صحيحٌ تمامًا، الرِّجلُ يرى في النَّبيذِ الأحمرِ دمَ بَكارةِ أُنثاه، فيما ترى المرأةُ في نبيذِها الأبيضِ مَنيَّ رَجُلِها، طبعًا من الغباءِ أن نُبسِّطَ الأمورَ على هذا النَّحوِ السَّاذَج، لكنَّه على كلِّ حالٍ ليسَ بعيدًا عن الحقيقة، ها نحنُ نعودُ من جَديدٍ إلى الثُّنائيّةِ الغَبيَّةِ التي تحكمُ عالَمَنا الحقيرَ، ذكرٌ ومؤنَّثٌ، مؤنَّثٌ وذكرٌ، يبدو أنَّنا مجبلونَ على التَّخريفِ وتحويلِ كلَّ شيءٍ لدينا إلى جنس

هه؟

ماذا؟

نبيذٌ؟!

آها، ولِمَ لا

سأعتبرها أُمْنِيَتَكِ الأخيرةَ

أحمرُ...

... أم أبيض؟

IV

كأْسُكِ يا «محبَّة «

في صحَّتِكِ وصحَّةِ رُوحكِ

أتفهُ شيءٍ فينا هو الرُّوح، وأصلُها أيضًا، أتعجَّبُ أصلاً من هذا الشيءِ غيرِ المحسوسِ فينا، لو كنتِ فهمتِ روحي، لو كنتِ فقط حاولتِ، ما كنَّا الآن نجلسُ جلستَنا الحقيرةَ هذه، أنا أقفُ أمام

طاولةٍ مفروشــةٍ بالمقصَّــاتِ وأمواسِ الحلاقةِ والسَّــكاكينِ ذاتِ الشَّــفراتِ الحـادَّةِ والملاقطِ والـدَّبـابيسِ، وأنـتِ تجلســينَ مقيّـدةَ الذَّراعينِ والقدمينِ على مقعدٍ مثبَّت في هذه الغرفة المعْتمةِ
في الحقيقةِ أنا لســتُ نادمًا على السِّــنين التي ضــيَّعتُها معكِ يا «محبَّة»، أنا فقط حزينٌ على نفســي، حزينٌ على روحي التي تجعَّدتْ تمامًا وصارتْ لا تصلحُ لشيء، أفسدتِ كلَّ شيءٍ بغبائكِ، لم تُحاولي قَطُّ أن تمُدِّي رأسَـكِ المغرورَ خارجِ شــرنقةِ ذاتكِ كي تطالعي العالمَ من الخـارج، الأنـانيّـةُ موهبـةٌ لا يملكهـا الكثيرون، وأنـتِ محترفـةُ أنانيّةٍ، كنتُ أجلسُ بالسَّـاعات تحت قدميكِ كي أسترضيكِ وأحاولَ تفهّمَكِ، وأنتِ كما أنتِ، رأسُــكِ حجر، الغباءُ أيضًــا موهبةٌ، كان صــديقٌ لي يقول «الغبيُّ ظالمٌ»، وأنتِ ظلمتِني يا «محبَّة»، لـذا لا تغضــبي حين أصــطادُ روحَكِ بِصــنَّارةِ كآبتي وخيبتي فيكِ، وأرفعُها عاليًا كما لو كانت طفلتي الأخيرةَ، ثم أتركها تســقطُ في ماءِ الذِّكرى، وأنا فاقدٌ لأيِّ أملٍ في اصـطيادِ ولو سـمكةٍ صـغيرةٍ ترسـمُ ابتسـامةً ملتذَّةً على وجهي.

٧

الجسدُ...
تعالي نبدأُ من الجسدِ...
فالرُّوح أمرُها صعبٌ ومعقّدٌ،
الجسدُ أسهلُ، قطعانُ الخرافِ المهرولةِ خوفًا من سِكِّينةِ الذِّبحِ خوفًا من ماكينةِ جزِّ الصُّوف المشهَرةِ في أيدي الغرباءِ وتركِها ببشرةٍ مكشوفةٍ في ليالي الشِّتاء الباردةِ

هذا الجسد الذي أحمله أينما سرتُ، أو قولي الجسدُ الذي يحملني، ما عدتُ أعرف أيًّا يحملُ الآخرَ أصلاً، أبدو أمامكِ الآن كأنَّني من يسوقُه، مثل راعٍ فقيرٍ في الصَّحراءِ يهشُّ بعصاه على عنزةٍ واحدةٍ، وعصاه طويلةٌ كأنَّه يمنِّي نفسه بعنزاتٍ أخرياتٍ

تعالي نبدأ من الجسدِ

جسدِكِ أو جسدي

الأمرُ سيّان

جسدانا الآن يشبهان عملةَ نقدٍ

ترفُّ على جنبِها

دون أن تسقطَ

وتنحازَ إلى ملكٍ أو كتابةٍ

جسدانا

بكلّ ما فيهما من قرفٍ وعصاراتٍ وإنزيماتٍ ودمٍ وتقيُّحٍ ودماملَ وبثورٍ وشعيراتٍ قابلةٍ للنَّتفِ وأخرى تستعصي على النَّتف

بروائحه وإفرازاته ودموعه وعرقِه ودهونِه وشحومِه

شيءٌ مُقرف فعلاً أن أتحدَّث الآن أمامكِ عن جسدينا بهذا الشكل، هههههه، لا بأسَ، ستتعوَّدين على كلامي الغبيّ، ياما تعوّدتُ عليكِ وعلى أفكاركِ الغريبةِ، ثمَّ من قال إنّني بهذه الطَّريقة في الحديثِ أحطُّ من قيمة الجسدِ، أبدًا، أحبُّ جسدَكِ كما أحبُّ جسدي، ألم يكن جسدُكِ هو البوَّابةُ الأولى لي كي ألجَ إلى روحِكِ، تصوَّري مثلاً لو أنَّكِ كنتِ قبيحةً ودميمةً ومنفوخةَ الأنفِ وتتمايلينَ كإوزّةٍ حين تسيرينْ، هل كنتُ سأحبُّكِ؟ طبعًا لا، المسألةُ ليست بهذه البساطةِ، تحتاجُ عيونُنَا أيضًا إلى الجَمالِ كي تسْكرَ، بعدها يسكرُ القلبُ، ثم

تســكرُ العواطفُ، أرأيتِ كم جميلةٌ كلمةُ «العواطفِ» هذه، كلمةٌ من أفلام السَّـتينيّات لكنَّها جميلةٌ ونحن نقولها اليوم فنشـعر بغباء النوستالجيا، ثمَّ من قال إنَّ حديثي هذا يضايقُ أحدًا؟

قلتُ لكِ
الجسدُ بوَّابتُنا الأولى
بابٌ للخطيئةِ
وأبوابُ مغفرةٍ مؤجلةٍ
أمرُه أسهلُ من الرُّوح بكثير
وإلا لماذا كلَّما وقعتُ تحتَ قدميكِ كما أنا الآن
تألمتْ روحي
واكتفى جسدي بنوَّارٍ أحمرَ
اسمه الدَّم!

VI

الدّم...
أجملُ كلمةٍ في اللّغةِ، أرأيتِ، كلمةٌ من حرفين فقط، وتفعل فينا كلَّ هذا التَّأثير، ليس غريبًا إذن أن يكونَ اســمي الصَّــغير محتويًا على الحرفين ذاتِهما، أســتطيعُ أن أشــكِّلَ عددًا كبيرًا من الكلمات من حروف اســمي الأربعةِ: دعْمٌ، دامٍ، مادَ، آدمُ، دمعٌ، أمدٌ، عمْدٌ، دع، عادَ، دمٌ، عدَمٌ، جميلةٌ كلمةُ «عدم» هذه؟!، ناهيكِ عن الاشتقاقاتِ التي لا تُحصــى من هذه الكلماتِ، لكنْ... مهلاً، لا نريدُ أن نذهبَ بعيدًا، لنركّز في الدَّمِ، قلتُ من قبلُ «اغمضي عينيكِ كي لا تجرحكِ نظرتي وهْي تخربشُ ســريانَ الدِّم السَّــاخنِ في وريدكِ»، الليلةَ، لا

أريدُكِ أن تغمضي عينيكِ، افتحيهما تمامًا، أريدُ لكلِّ نظرةٍ من عينيَّ أن تخربشَ سـريانَ الدَّمِ وهو يجري دافئًا في وريدِك، بل في أوردتِك، كوني على يقينٍ تامٍ بأنَّني الليلةَ سـأجمِّد الدم في عروقك، ببطءٍ، ورويّةٍ، وهدوءٍ، ليس ورائي شـيء، أنا فاضـي، متفرّغ تمامًا لأجل حفلِنا الليلةَ

بالمناسـبةِ؛ قرأتُ اليومَ عن عشـيقٍ صـيني قتلَ عشـيقتَه واحتفظَ بجثَّتها في الدِّيب فريزر، ثم أكلَها قطعةً قطعةً، عضـوًا عضـوًا، طبخَها كما لو كانتْ أرنبًا اشتراه من السّوبر ماركت أو اصطادَه من حديقة جاره الخلفيّةِ، أليس هذا دليلاً قاطعًا على محبَّته لها، هل سـمعتِ يومًا عن محبٍّ بهذا التَّفاني في حبِّه، هذا التوحُّدِ والتَّماهي مع حبيبتِه، طبعًا سـتقولين لي إنَّ «الصِّـينين يأكلون القرودَ، فما بالكَ باللحم البشـريِّ!»، لعلمكِ: اللحمُ البشـريُّ صـعبٌ جدًّا أنْ يؤكلَ، يعععِ، أعتقدُ أنه مرٌّ، زنخٌ، مقرفٌ، لزجٌ، وفوق هذا، سـيكون مثل اللحمِ الجمليِّ حين يُطبخُ، اخيييييه، لطالما كرهتُ مشـاهدةَ Anthony Hopkins وهو يأكلُ من رأسَ Ray Liotta في «هانيبال»، إذا كنتِ لا تصـدِّقينني نسـتطيعُ أن نجرِّب، عندي ملحٌ وتوابلُ مجلوبةٌ من الهند والقاهرة وحلب، أمِّي بنفسـها أعدّتْ لي خلطةً سحريةً من توابلِها السـنةَ الماضـيةَ، سـأدوسُ على معدتي بالجزمةِ وأقومُ لأشـعل النَّار، وحتى أعودَ قرِّري أيّ عضـوٍ سـتهدينني إيَّاه كي يكونَ عشائي الليلةَ.

VII

هل تضايقكِ الموسيقى؟، هل أشغِّلُ لك «كارمينا بورانا»، أم نجلسُ هكذا في العتمة والسُّكوتِ، بصراحةٍ؛ لم أعدْ أُطيقُ لا العتمةَ ولا السُّكوتَ ولا الكلامَ ولا الصَّمتَ ولا التَّحديقَ في الفراغِ، تعبتُ من الكلامِ والصَّمتِ والتَّحديقِ في الفراغِ، تعبتُ منكِ ومن نظرتكِ المحدِّقةِ فيَّ هكذا

تشربينَ شيئًا؟

عندي ويسكي وفودكا ونبيذٌ أحمرُ ونبيذٌ أبيضُ وشمبانيا وبيرةٌ من خمسةِ أصنافٍ مختلفةٍ وبكاردي، عندي أيضًا شايٌ وينسون وبنٌّ مصريٌّ محوَّجٌ ونعناعٌ طازجٌ اشتريته اليوم من السوقِ، تريدين عصائرَ، افتحي الثَّلاجةَ وخذي ما تشائين، لا أحرمُكِ من شيء يا «محبَّة»، السنواتُ التي مرَّتْ علينا سويًا تجعلُني أحبّكِ رغم كلِّ شيء... في النِّهاية هي عِشْرةُ عمر، عَيشٌ وملحٌ ونبيذٌ وجبنٌ وخبزٌ وقيءٌ ودمٌ ومَنيٌّ وشهدُ فرجِكِ، شيءٌ صعبٌ أن نمحوَ كلّ هذا بجرَّة قلمٍ، ونقولَ الآن إنَّنا نتبادلُ الكراهيةَ، هل تكرهينَني، صعبٌ أن تقولي هذا، صحْ؟!

أنا أيضًا لا أكرهُكِ، الكراهيةُ موهبةٌ لا يملكها الكثيرون، مَثَلها مَثَل الأنانيّةِ، فكَّرتُ يومًا أن أكتبَ شيئًا عمّا نحن فيه الآن، لكنْ تصوَّري لو فعلتُ، ماذا سيظنّون بنا..؟

ربَّما يفكِّرون أنَّني أُشهِّرُ بكِ، أو أنَّني قرَّرتُ أنْ أفضحكِ، أعوذ بالله، أفضحُكِ؟، أنتِ؟! النَّاس أصبحتْ بشعةً في زماننا هذا يا «محبَّة»، الواحدُ مِن هؤلاء يسمحُ لنفسه بكلِّ شيء ويحرمُ الآخرين من كلِّ شيء، تصوَّري أن أكتبَ عنكِ نصًّا قبيحًا وركيكًا ولا علاقةَ له

بـالشِّـــعر لا من قريـبٍ ولا من بعيـدٍ، بعنوان «ســتَّـة أقـدام تحـت الأرض»، أســتغفرُ اللهَ!، ماذا ســيقولـون عنِّي؟ لم يحفظِ الجميلَ، دنيءٌ، حيوانٌ، حقيرٌ، واطي، ســيقولـون كلّ هـذا، صــدِّقيني، لـذا تراجعتُ تمامًا عن فكرةِ الكتابةِ.

الكتابة إفســادٌ دائمٌ للأشــياءِ، فضَّــلت أنْ نبقى هكذا، دون نصٍ يفضحُنا

أو ينشرُ غسيلَنا الوسخَ أمام النَّاسِ.

VIII

إذا كنـتِ تعبـتِ من الجلوسِ كلَّ هـذا الوقـتِ فوقَ مقعـدكِ، تعـالي هنا، بجواري، فقط حرِّكي قـدميكِ وســينفكُّ الحبلُ، لا أســتطيعُ أصــلاً أن أقيِّدَكِ يا عبيطة، نعم، هكذا، اقتربي، تمدَّدي ونامي على صـدري، أحبُّ أن ألعبَ في شـعركِ الأسـودِ الجميلِ مثلما كنتُ أفعل قديمًا، تعرفينَ هذهِ الحركةَ، تجعَلُني أغمضُ عينيَّ وأنا أتنشَّـقُ عبيرَ لحمِكِ طازجًا وبريئًا من أيِّ عطرٍ. العطورُ كارثةُ الجنسِ البشريِّ، كلُّ امرأة تظنُّ أنّها بالعطرِ تسـتطيعُ سـحبَ الرَّجلِ إلى السَّـريرِ، واسـألي «جان باتيست غرنوي»، لكن هذا لا يمنعُ أنَّني أحبُّ عطرَكِ، أقصـدُ عطورَكِ، أقصــدُ تحـديـدًا روائحَـكِ، فرائحتُـكِ هي بـالأحرى معجمُ روائحَ

هنا مثلاً أشمُّ رائحة شجرٍ غريبٍ يسكنُ بداخلي مذ كنتُ هرًّا صغيرًا

وهنا، فوق الحلمةِ اليمنى، أشمُّ بكائي وأنا طفلٌ على صدرِ أمّي

وهنا، فوق الحلمةِ اليسرى، أشمُّ شهوتي فيكِ

وهنا، في الخطِّ الفاصلِ بين نهديكِ، أشمُّ بكائي، وهواني على النَّاس

وهنا، على كتفكِ اليمنى، أشـــمُّ إغفاءتي على كتفِ أبي وهْو عائدٌ في الليل يجرُّنا إلى أسرَّتنا
وهنا، تحت إذنكِ اليمنى، أشمُّ إنصاتكِ لي، وتلصُّصكِ عليَّ
تحت قبَّتي نهديكِ لا أشمُّ شيئًا
لكنَّني أرى قلبَكِ شـــفَّافًا يضـخُّ الدّمَ الأحمرَ ويوزِّعُه بالعدلِ على شراييِنِك
وهناك، فوق السُّرَّةِ الملفوفةِ المدوَّرةِ الغائرةِ في اللحمِ
أشمُّ رائحةَ آدمَ وإيليا صغيرين يحبوان تحت قدميَّ
غريبٌ أن أشمَّ رائحةَ طفليَّ الصَّغيرين من بطنكِ يا «محبَّة «
في النَّهاية لا أنتِ أمّهما ولا أنت أمِّي، ثمَّ من قال إنَّكِ تصلحينَ أصلاً أن تكوني أمًّا؟، هه؟!، قومي عنِّي، لا أريدكِ بجواري، لا أريد شــعرَكِ ولا كتفيكِ ولا نهديكِ ولا حلمتيكِ ولا سرَّتكِ ولا بطنكِ ولا روائحَكِ
يكفي...
... اختنقتُ.

IX

أفزعتُك؟ !
منذ متى وأنتِ تخافين، هل تخيفُكِ هذه الطاولةُ الصغيرةُ وما عليها،
ماذا يضـــيرُكِ أنْ أســـلخَ جلدَكِ الآن أو أقطِّعك إلى ألفَ قطعةٍ ثم أشويكِ وأرميكِ لكلاب الشَّوارعِ
ألستِ ميّتةً؟
أنت ميّتةٌ
ميم، ياء، تاء، تاء مربوطة

ميّتة

هل صعبٌ عليكِ أن تفهمي الكلمةَ
شغِّلي مخَّك قليلاً
أو انظري إليَّ وستفهمين
الميِّت يشبهني كثيرًا، مثلي تمامًا، فاقدٌ لأي إحساس، حجرٌ
لا ينطقُ ولا يرى ولا يسمعُ ولا يشعرُ ولا يشمُّ ولا يتذوّقُ ولا يضحكُ
ولا يبكي ولا ينتحرُ ولا يأكلُ ولا يشربُ ولا يسهرُ ولا يسكرُ ولا يكذبُ
ولا يصْدُقُ ولا يصحو ولا ينامُ...

ناهيك عن أنَّه يخلو من الحرارةِ، باردٌ مثلَ حطبةٍ، مثلَ قبرِكِ هذا. لا أفهمُ لماذا لا يُنشئون قبورًا تناسبُ الميّتين أمثالَنا، بذمَّتكِ ودينكِ، هل هذا القبر الموحش هو ما تستحقّينه بعد كلِّ حياتِكِ الحافلةِ يا «محبَّة»، كلُّ الذين كتبوا عنكِ ونصَّبوك فوق عرشكِ العالي ماتوا ميتاتٍ أكرمَ من ميتتكِ هذه، على الأقل منهم من يرقدُ الآن في قبور خمس نجومٍ، مرفَّهين، تركوكِ تسقطينَ هكذا عن عرشكِ المذهَّبِ، باعوكِ بأبخس ثمن وضحكوا عليكِ، بصراحة أنتِ خُدعتِ، أعطوكِ خازوقًا، ويبدو أنّ القدرَ لم يجدْ غيري كي يقتصَّ منهم فيكِ، أو يقتصَّ منكِ فيهم، أو يقتصَّ منّي، أنا التَّافهِ الواقفِ أمامكِ الآن

أهتزُّ مثل نبتةٍ في الرِّيح
كلَّما رفعتِ إليَّ عينين ناعستين
وأتضاءل مثل فأرٍ
إن أنزلتِ جفنين مندَّيين بالدَّمع.

X

تصـــوَّري أن تكوني ميِّتةً فيما الآخرون يدوســـون على ترابٍ كان في القديمِ أحدَ أعضـــائِك، كان عظمةً من عظامِك.. لســـانَكِ مثلاً، قلبَكِ، شـــفتيكِ، نهديكِ، ســـاقَكِ أو بطنَكِ أو ظهرَكِ أو عانتَك، أيَّ شيء منكِ، المهم أنَّهم يدوسون عليه بأحذيتِهم الوسخةِ أو المدبَّبةِ أو المفلطحة أو العالية ذات الكعوبِ المســنونة، حياةٌ رخيصـــةٌ وتافهةٌ وأحقرُ من وقفتي هـذه أمـامـكِ، مـنْـذ جئـتُ إلى هنـا وأنـا أفكّرُ أين ســـيدفنونني، هنـا أم هنـاك، أين ســـيكون قبري؟، إن دفنـتُ هنـا ســـأكون بعيدًا عن أمِّي، وإن دفنتُ هناك ســـأكون بعيدًا عن طفليَّ، شـــيء بشـــعٌ أن يموتَ المرءُ وهو لا يعرفُ أين ســـيكونُ مثواه الأخيرُ، هـل ســـألوكِ حين دفنوكِ هنـا؟ أرأيـتِ، ســـفلـةٌ، أولادُ قحـابٍ في الحقيقـة، لو كانوا ســـألوكِ لربّما اخترتِ مكانًا يليقُ بقبركِ الأخير أفضل من هذا

عن نفســـي لم يســـألني أحدٌ، وحتى لو ســـألني، ما كنتُ أعرفُ كيف سأجيبه

كنتُ أنامُ، وكلَّ ليلةٍ أقيسُ المســـافةَ بين قبري وبيتِ أمّي، وكلَّ ليلة تكبرُ المسافة يا «محبَّة»، أضعُ طرف المقياسِ بيدٍ مرتعشـةٍ على بابِ أمّي، وأشدُّه وأنا أسيرُ إلى بابِ قبري، وتكبرُ المسافة

في الحقيقة، لا أعرف إذا كانتْ المســافةُ هي التي تكبرُ، أم أنَّني أنا من يشـيخُ، لذا تعبتُ من حســابِ المســافاتِ، أرحتُ دماغي وقلتُ: ليكنْ ما يكونُ، أليس هذا أفضل، لماذا نحيِّرُ أنفسَنا بالموت ما دمنا أحياءَ؟

باب أخير

شاهد قبر

عماد فؤاد

(1974 - 2010)

... قولوا لها
إنَّ ابنَها البكرَ الذي هو أنا
كان يسيرُ وهْو يجرُّ خلفَه
رهطًا من الشُّعراءِ
مقطوعِيَ الألسنِ
مبتورِيَ الأناملِ
حاملًا لواءَهم إلى النَّارِ.
... قولوا لأمِّي
إنَّكم وجدتموني ميتًا في صباحٍ مندّى
فوقَ قبرِ امرأةٍ مجهولةٍ
وثمَّةُ سربٌ من العشَّاقِ سيِّئِي الحظِّ
يقتفي أثري
من دربٍ..
.. إلى دربْ.

جرت وقـائع «عشـــر طرق للتَّنكيـل بجثَّـة» في الفترة من: 25 مـايو 1998 إلى: 22 أكتوبر 2009 وسُـجّلت في الفترة من :20 فبراير 2005 حتى: 1 نوفمبر 2009

حاشية

وقائع «الجنازات العشر للفقيدة محبَّة» مدينة بالكثير إلى عديد من الشَّخصيات والأماكن والأشياء والأصوات والأيام والرَّوائح وغيرها، ومن قبل ومن بعد مدينة بالكثير إلى :
فؤاد أبو حسين، عطيات عبد المنعم، أحمد، أشرف، ناهد، أسامة، وسامية فؤاد.

25 مايو 1998

CL Group - Antwerpen Merksem، حي بهتيم بمتاهة شبرا الخيمة، صوت فيروز، غرفة الطابق الثالث بشارع Amethiststraat، بليغ حمدي.

10 ديسمبر 2005

علي الحجار، قرية الفرعونية، Marlboro، كورنيش إسكندرية، قلب القاهرة ليلًا، Camel، قسم شرطة حي شبرا الخيمة ثان، محمد منير، Berchem
محمد صدِّيق المنشاوي، أحمد زكي، المرأة الوحيدة التي أحبَّتني، الحسين بن منصور الحلاج، Gent، Jupiler.

20 نوفمبر 2008

هولوكست غزَّة ، Egon Schiele،أنا كهلًا، شقّة أرض اللوا، Sint-Vincentiusziekenhius-Antwerpen، سانتياجو نصَّار، Gustav Klimt، دون كيخوته.

عشر طرق للتَّنكيل بجثَّة

باب أوَّل: الجنازات العشر للفقيدة «محبَّة»

- ورأيتُ صبايَ يعضّ طفولتي ويجري ليختبئَ كطفلٍ بين قدميَّ
- ورأيتُ يدي اليمنى منسيّةً فوقَ رخامةِ القبرِ.
- ورأيتُ ساقيَّ تعدوان منِّي خلف عابرٍ ظمئ.. فتتخطَّاه وتستمرّ
- ورأيتُ سطورَ قصائدي موزَّعةً على قصائدِ الآخرينَ دونما سببٍ
- ورأيتُ قبري بعيدًا تحت ظلٍّ بلا شجرٍ ولا زهر
- ورأيتُني واقفًا كمن سهمٌ بالنِّداءِ على أحدٍ
- ورأيتُهم قادمينَ من بعيدٍ مغبَّري الثِّيابِ مغبَّري الذُّقون
- ورأيتُ ابنيَّ يحملان نعشي ثقيلاً فوق كتفيهما الخضراوين
- ورأيتُ نسوةً في المدينةِ يشيِّعْنَني من خلفِ خصاصِ النَّوافذِ بدمعٍ عاتبٍ مُرّ
- ورأيتُ شالَها يرفُّ في الهواءِ خلفَ الجمعِ وهْي قادمةٌ، - تتسنَّدُ على عصا، وتضربُ الأرضَ كأنَّها ستنهَرني

باب ثان: ستَّة أقدام تحت الأرض

باب أخير: شاهد قبر

عماد فؤاد

شاعر مصري

من مواليد 22 أكتوبر 1974، في قرية الفرعونية بمحافظة المنوفية، مصر. يقيم في بلجيكا منذ عام 2004.

صدرله

•تلك لُغة الفرائس المحْظوظة (2019) شعر (دار ميريت: القاهرة).

•عشر طرق للتَّنكيل بجثَّة (2010) شعر (دار الآداب: بيروت).

•حرير (2007) شعر (دار النّهضة العربية: بيروت).

•بكدمةٍ زرقاء من عضَّة النَّدم (2005) شعر (شرقيّات: القاهرة).

•تقاعد زير نساء عجوز (2002) شعر (شرقيّات: القاهرة).

•أشباح جرَّحتْها الإضاءة (1998) شعر (ديوان الكتابة الأخرى: القاهرة).

الرواية

•الحالة صفر (2015) رواية (دار ميريت: القاهرة).

الأنطولوجيا الشعرية

•ذئبٌ.. ونفرش طريقه بالفخاخ (2016) أنطولوجيا شعرية (المكتب المصري للمطبوعات: القاهرة؛ الوردة: بروكسل).

•رُعاة ظلالٍ.. حارسو عُزلات أيضًا (2007) أنطولوجيا شعرية (جمعية البيت للثقافة والفنون: الجزائر).

النقد الثقافي

•على عينك يا تاجر، سوق الأدب العربي في الخارج.. هوامش وملاحظات (2022) نقد ثقافي (دار ميتافورا للنشر والترجمة: القاهرة).

بلغات أخرى

•حفيف (2018) Bruissement مختارات شعرية) دار Al Manar: فرنسا؛ مهرجان Voix vives de Sète: فرنسا).





ماذا يفعلُ الواحدُ يا ناس
حين يغلقونَ البابَ عليه
مع جثَّةِ امرأةٍ
حملَها عمرًا بأكملِه
كي لا يلوِّثَ قدميها
وحلُ الطَّريق؟

EMAD FOUAD

TEN WAYS TO MUTILATE A CORPSE

9 781326 230722

Jidar
Culture & Publishing